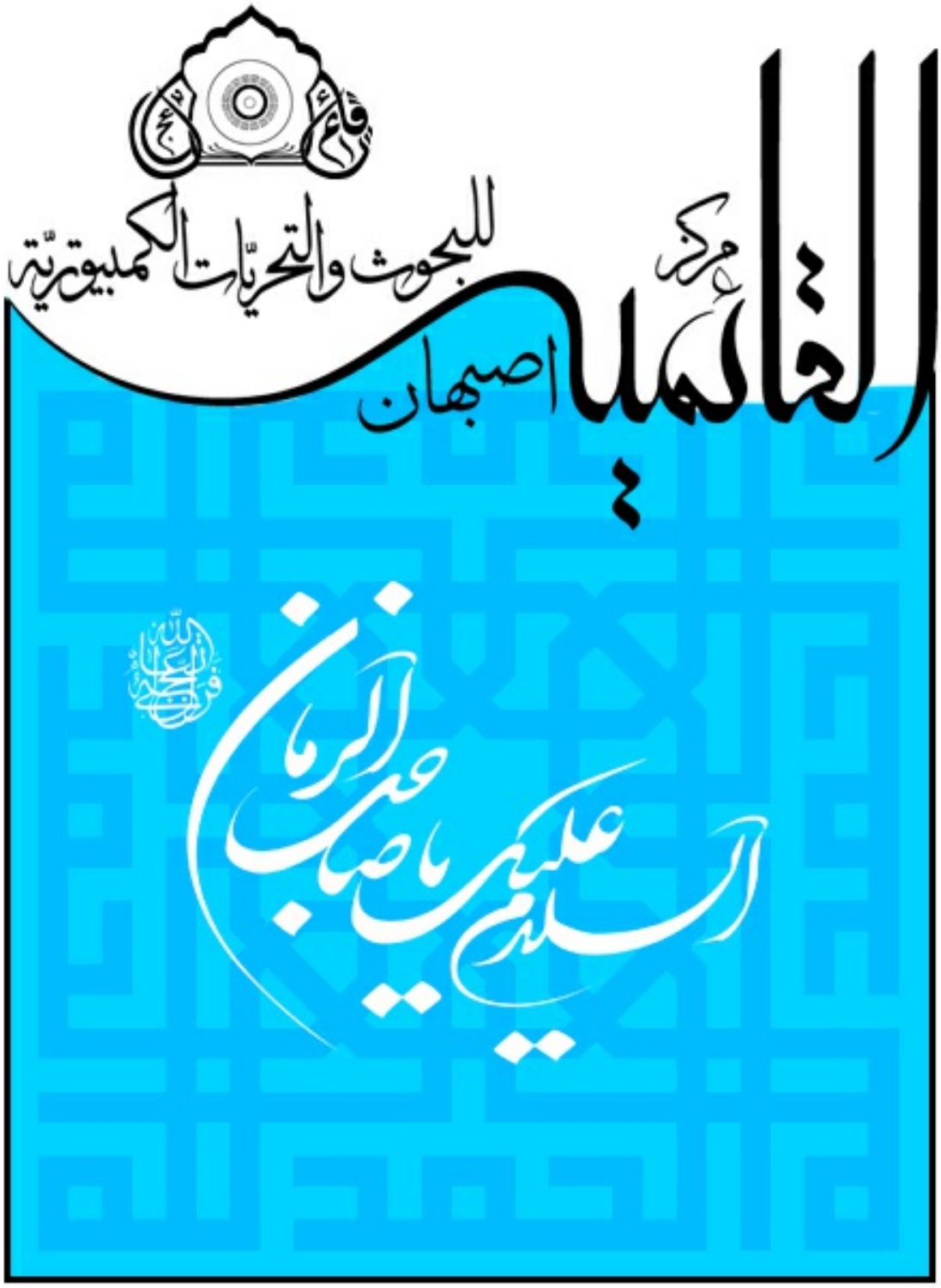

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

وصایا و مجالس
الامام جعفر الصادق علیه السلام

توحید مفضل

بسم الله الرحمن الرحیم

وصايا و مجالس الامام جعفر الصادق (عليه السلام)

كاتب:

مفضل بن عمر

نشرت فى الطباعة:

مجهول (بى جا ، بى نا)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵

وصایا و مجالس الامام جعفر الصادق علیه السلام ----- ۱۱

اشاره ----- ۱۱

تقدیم للناشر ----- ۱۱

کلام ابن ابی العوجاء مع صاحبه ----- ۱۱

محاوره المفضل مع ابن أبی العوجاء ----- ۱۳

سبب املاء الکتاب علی المفضل ----- ۱۳

اشاره ----- ۱۳

المجلس ۰۱ ----- ۱۴

اشاره ----- ۱۴

جهل الشکاک بأسباب الخلقه و معانیها ----- ۱۴

تهیئه العالم و تألیف أجزائه ----- ۱۵

خلق الانسان و تدبیر الجنین فی الرحم ----- ۱۶

کیفیه ولاده الجنین و غذائه و طلوع أسنانه و بلوغه ----- ۱۶

حال من لا ینبت فی وجهه الشعر و عله ذلک ----- ۱۷

حال المولود لو ولد فهما عاقلا و تعلیل ذلک ----- ۱۷

منفعه الأطفال فی البکاء ----- ۱۸

آلات الجماع و هیئتها ----- ۱۹

اعضاء البدن و فوائد کل منها ----- ۲۰

زعم الطبیعیین و جوابه ----- ۲۰

عملیه الهضم و تکون الدم و جریانه فی الشرایین و الاورده ----- ۲۰

اول نشوء الأبدان: تصویر الجنین فی الرحم ----- ۲۱

اختصاص الانسان بالانتصاب و الجلوس دون البهائم ----- ۲۱

تخصص الانسان بالحواس و تشرفه بها دون غیره ----- ۲۱

الحواس الخمس و أعمالها و ما فی ذلک من الأسرار ---- ۲۱
تقدیر الحواس بعضها یلقی بعضا ---- ۲۱
فیمن عدم البصر و السمع و العقل و ما فی ذلک من الموعظه ---- ۲۲
الأعضاء المخلوقه أفرادا و أزواجا و کیفیه ذلک ---- ۲۳
الصوت و الکلام و تهیئه آلاته فی الانسان و عمل کل منها ---- ۲۴
ما فی الأعضاء من المآرب الأخری ---- ۲۴
الدماغ و أغشیته و الجمجمه وفائدتها ---- ۲۵
الجفن و أشفاره ---- ۲۵
الفؤاد و مدرعته ---- ۲۵
الحلق و المری ء ---- ۲۵
الرئه و عملها... اشراج منافذ البول و الغائط ---- ۲۵
المعده عصبانیه و الکبد ---- ۲۵
المخ و الدم و الاظفار و الاذن و لحم الالیتین و الفخذین ---- ۲۶
الأنسان ذکر و انثی و تناسله و آلات العمل و حاجته و حیلته و الزامه بالحجه ---- ۲۶
الفؤاد و ثقبه المتصله بالرئه ---- ۲۶
فرج الرجل و الحکمه فیه ---- ۲۶
منفذ الغائط و وصفه ---- ۲۶
الطواحن من أسنان الانسان ---- ۲۷
الشعر و الاظفار و فائده قصهما ---- ۲۷
شعر الرکب و الابطین ---- ۲۸
الریق و ما فیه من المنفعه ---- ۲۸
محاذیر کون بطن الانسان کهیئه القباء ---- ۲۸
افعال الانسان فی الطعم و النوم و الجماع و شرح ذلک ---- ۲۹
قوی النفس و موقعها من الانسان ---- ۳۱
النعمه علی الانسان فی الحفظ و النسیان ---- ۳۱
اختصاص الانسان بالحیاء دون بقیه الحیوانات ---- ۳۱

اختصاص الانسان بالمنطق و الكتابه ----- ۳۱
اعطاء الانسان ما يصلح دينه و دنياه و منعه مما سوى ذلک ----- ۳۲
ما ستر عن الانسان علمه من مده حياته ----- ۳۳
الأحلام و امتزاج صادقها بكاذبها و سر ذلک ----- ۳۵
الأشياء المخلوقه لمآرب الانسان و ايضاح ذلک ----- ۳۶
الخبز و الماء رأس معاش الانسان و حياته ----- ۳۷
اختلاف صور الناس و تشابه الوحوش و الطير و غيرها و الحكمه فی ذلک ----- ۳۸
نمو أبدان الحيوان و توقفها و سبب ذلک ----- ۳۸
ما يعتبر أجسام الانس من ثقل الحركه و المشی لو لم يصبها ألم ----- ۳۹
انقراض الحيوان لو لم يلد ذكورا و اناثا ----- ۳۹
ظهور شعر العانه عند البلوغ و نبات اللحيه للرجل دون المرأه و ما فی ذلک من التدبير ----- ۳۹
المجلس ۰۲ ----- ۳۹
اشاره ----- ۳۹
ابنيه أبدان الحيوان و تهيئتها و ايضاح ذلک ----- ۴۰
اجساد الانعام و ما اعطيت و ما منعت و سبب ذلک ----- ۴۱
خلق الأصناف الثلاثه من الحيوان ----- ۴۱
آكلات اللحم من الحيوان و التدبير فی خلقها ----- ۴۱
ذوات الأربع و استقلال اولادها ----- ۴۱
قوائم الحيوان و كيفيه حركتها ----- ۴۳
انقياد الحيوانات المسخره للانسان و سببه ----- ۴۳
افتقاد السباع للعقل و الرويه و فائده ذلک ----- ۴۳
عطف الكلب علی الانسان و محاماته عنه ----- ۴۳
وجه الدابه و فمها و ذنبها و شرح ذلک ----- ۴۳
الفيل و مشفره ----- ۴۵
حياء الأنثی من الفيله ----- ۴۵
الزرافه و خلقتها و كونها ليست من لقاح أصناف شتی ----- ۴۵

القرد و خلقته و الفرق بينه و بين الانسان ---- ۴۶
اکساء أجسام الحیوانات و خلقه أقدامها بعکس الانسان و أسباب ذلک ---- ۴۷
مواراه البهائم عند احساسها بالموت ---- ۴۷
الفطن التی جعلت فی البهائم: الایل و الثعلب و الدلفین ---- ۴۸
التنین و السحاب ---- ۴۹
فی الذره و النمل و اسد الذباب و العنکبوت و طبائع کل منهما ---- ۴۹
جسم الطائر و خلقته ---- ۵۰
الدجاجه و تهیجها لحضن البیض و التفریخ ---- ۵۲
خلق البیضه و التدبیر فی ذلک ---- ۵۲
حوصله الطائر ---- ۵۲
اختلاف ألوان الطیر و عله ذلک ---- ۵۲
ریش الطائر و وصفه ---- ۵۲
الطائر الطویل الساقین و التدبیر فی ذلک ---- ۵۲
العصافیر و طلبها للأکل ---- ۵۳
معاش البوم و الهام و الخفاش ---- ۵۳
خلقه الخفاش ---- ۵۴
حیله الطائر أبونمره بالحسکه و منفعتها ---- ۵۴
النحل: عسله و بیوته ---- ۵۵
الجراد و بلاؤه ---- ۵۵
کثره الجراد ---- ۵۵
وصف السمک ---- ۵۵
کثره نسل السمک و عله ذلک ---- ۵۵
سعه حکمه الخالق و قصر علم المخلوقین ---- ۵۶
المجلس ۰۳ ---- ۵۶
اشاره ---- ۵۶
لون السماء و ما فیه من صواب التدبیر ---- ۵۷

طلوع الشمس و غروبها و المنافع فی ذلک ---- ۵۷
التدبیر و المصلحه فی الفصول الأربعه من السنه ---- ۵۸
معرفه الأزمنه و الفصول الأربعه عن طریق حرکه الشمس ---- ۵۸
الاستدلال بالقمر فی معرفه الشهور ---- ۵۹
ضوء القمر و ما فیه من المنافع ---- ۵۹
النجوم و اختلاف مسیرها و السبب فی أن بعضها راتبه و الأخری متنقله ---- ۵۹
فوائد بعض النجوم ---- ۶۰
الشمس و القمر و النجوم و البروج تدل علی الخالق ---- ۶۲
مقادیر اللیل و النهار ---- ۶۳
الحر و البرد و فوائدهما ---- ۶۳
الریح و ما فیها ---- ۶۴
الهواء و الاصوات ---- ۶۴
هیئه الأرض ---- ۶۵
فوائد الماء و السبب فی کثرته ---- ۶۶
فوائد الهواء و السبب فی کثرته ---- ۶۷
منافع النار و جعلها کالمخزونه فی الاجسام ---- ۶۸
الصحو و المطر و تعاقبهما علی العالم و فوائد ذلک ---- ۶۹
مصالح نزول المطر علی الأرض و أثر التدبیر فیه ---- ۷۰
منافع الجبال ---- ۷۱
انواع المعادن و استفاده الانسان منها ---- ۷۱
النبات و ما فیه من ضروب المآرب ---- ۷۲
الربع فی النبات و سببه ---- ۷۳
بعض النباتات و کیف تصان ---- ۷۳
الحکمه فی خلق الشجر و أصناف النبات ---- ۷۴
خلق الورق و وصفه ---- ۷۵
العجم و النوی و العله فی خلقه ---- ۷۵

موت الشجر و تجدد حیاته و ما فی ذلک من ضروب التدبیر ---- ۷۶
خلق الرمانه و أثر العمد فیه ---- ۷۶
حمل الیقطین و ما فیه من التدبیر و الحکمه ---- ۷۶
موافاه أصناف النبات فی الوقت المشاکل لها ---- ۷۷
فی النخل و خلقه الجذع و الخشب و فوائد ذلک ---- ۷۷
العقاقیر و اختصاص کل منها ---- ۷۸
المجلس ۰۴ ---- ۷۹
اشاره ---- ۷۹
الموت و الفناء و انتقاد الجهال و جواب ذلک ---- ۸۰
الآفات و نظر الجهال الیها و الجواب علی ذلک ---- ۸۰
لماذا تصیب الآفات جمیع الناس و ما الحجه فی ذلک ---- ۸۳
الموت و الفناء و انتقاد الجهال و جواب ذلک ---- ۸۴
الطعن علی التدبیر من جهه اخری و الجواب علیه ---- ۸۵
اسم هذا العالم بلسان الیونانیه ---- ۸۸
عمی (مانی) عن دلائل الحکمه و ادعاؤه علم الاسرار ---- ۸۸
انتقاد المعطله فیما راموا أن یدرکوا بالحس ما لا یدرک بالعقل ---- ۸۸
معرفه العقل للخالق معرفه اقرار لا معرفه احاطه ---- ۸۸
الشمس و اختلاف الفلاسفه فی وضعها و شکلها و مقدارها ---- ۸۹
الحق الذی تطلب معرفته من الأشیاء أربعه أوجه و تفصیل ذلک ---- ۹۰
اصحاب الطبائع و مناقشه أقوالهم ---- ۹۱
پاورقی ---- ۹۳
تعریف مرکز ---- ۹۴

وصایا و مجالس الامام جعفر الصادق علیه السلام

اشاره

المؤلف: توحید مفضل

الناشر : توحید مفضل

الطبعه: الاولی

طبع فی سنه: ۱۴۲۴ ق / ۲۰۰۳ م

تقدیم للناشر

کان ائمه أهل البیت علیهم السلام یفیضون علی الامه بعلومهم، یجیبون علی أسئله السائلین، و یفتحون أبواب المعرفه للناهلین. ان الامام جعفر بن محمد الصادق من هذه الدوحه الباسقه و الشجره الثابت أصلها، استغل فتره ضعف الدوله الأمویه و بدایه تأسیس العباسیین لدولتهم، لذا أسس مدرسته الفکریه الشامخه، فقصده طلاب العلم و الحقیقه یغرفون من بحار علومه. و من بین هؤلاء الاصحاب کان المفضل بن عمر الجعفی الذی هاله ما سمعه من بعض الملحدین و الشاکین بقدره الله تعالی، فتوجه الی الامام علیه السلام یطرح مخاوفه و هواجسه و عدم قدرته علی اجابتهم. فما کان من الامام الصادق علیه السلام الا الطلب من تلمیذه أن یأتیه [صفحه ۶] و خصص له وقتا لذلک، فصار المفضل یأتی الامام علیه السلام و یدون ما کان یلقیه امامه العظیم من معارف و آفاق تتناول مختلف جوانب الکون فمن جسم الانسان و قواه العقلیه و النفسیه، الی عالم الحیوان و ما أبدعه الخالق الکریم فیها من بدائع الروعه و عظیم الصنعه، الی ما یحیط بنا من شمس و قمر و اجرام سماویه، و ما تحویه الأرض من معادن... و قد استمرت هذه الجلسات. و کان من توفیق الله تعالی أن وصلتنا هذه المجالس الصادقیه، فسلام الله علی امامنا جعفر الصادق یوم ولد و یوم أعطی أمته من فیض علومه و یوم توفی و یوم یبعث حیا مع الشهداء و الصدیقین و حسن اولئک رفیقا. [صفحه ۷]

کلام ابن ابی العوجاء مع صاحبه

روی محمد بن سنان، قال: حدثنی المفضل بن عمر قال: کنت ذات یوم بعد العصر جالسا فی الروضه بین القبر و المنبر، و أنا مفکر فیما خص الله تعالی به سیدنا محمدا صلی الله

علیه و آله و سلم، من الشرف و الفضائل، و ما منحه و اعطاه و شرفه و حباه، مما لا یعرفه الجمهور من الأمه و ما جهلوه من فضله و عظیم منزلته، و خطیر مرتبته، فانی لکذلک اذ أقبل: «ابن أبی العوجاء» فجلس بحیث اسمع کلامه فلما استقر به المجلس اذ رجل من أصحابه قد جاء فجلس الیه، فتکلم «ابن أبی العوجاء» فقال: لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بکماله، و حاز الشرف بجمیع خصاله، و نال الحظوه فی کل أحواله، فقال له صاحبه: أنه کان فیلسوفا ادعی المرتبه [صفحه ۸] العظمی، و المنزله الکبری، و أتی علی ذلک بمعجزات بهرت العقول، و ضلت فیها الاحلام، و غاصت الألباب علی طلب علمها فی بحار الفکر، فرجعت خاسئات، و هی حسر، فلما استجاب لدعوته العقلاء و الفصحاء و الخطباء، دخل الناس فی دینه أفواجا، فقرن اسمه باسم ناموسه، فصار یهتف به علی رؤوس الصوامع، فی جمیع البلدان و المواضع، التی انتهت الیها دعوته، و علتها کلمته، و ظهرت فیها حجته برا و بحرا، سهلا و جبلا فی کل یوم و لیله خمس مرات مرددا فی الأذان و الاقامه، لیتجدد فی کل ساعه ذکره، و لئلا یخمل أمره. فقال «ابن أبی العوجاء»: دع ذکر محمد (صلی الله علیه و علی آله) فقد تحیر فیه عقلی، و ضل فی أمره فکری. و حدثنا فی ذکر الأصل الذی نمشی له... ثم ذکر ابتداء الأشیاء، و زعم أن ذلک باهمال لا صنعه فیه و لا تقدیر، و لا صانع و لا مدبر، بل الأشیاء تتکون من ذاتها بلا مدبر، و علی هذا کانت الدنیا لم تزل و لا تزال!

محاوره المفضل مع ابن أبی العوجاء

قال المفضل: فلم أملك نفسی غضبا و حنقا، فقلت: یا عدو الله ألحدت فی دین الله، و أنكرت البارئ جل قدسه الذی خلقك فی أحسن تقویم، و صورك فی أتم صوره، و نقلك فی احوالك حتی بلغ الی حیث انتهیت. فلو تفكرت فی نفسك و صدقك لطیف حسك، لوجدت دلائل الربوبیه و آثار الصنعه فیك قائمه، و شواهده جل و تقدس فی خلقك واضحه، و براهینه لك لائحه، فقال: یا هذا ان كنت من أهل الكلام كلمناك، فان ثبتت لك حجه تبعناك، و ان لم تكن منهم فلا كلام لك، و ان كنت من اصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا تخاطبنا، و لا بمثل دلیلك تجادل فینا، و لقد سمع من كلامنا أكثر مما سمعت، فما أفحش فی خطابنا، و لا تعدی فی جوابنا و أنه الحلیم الرزین، العاقل الرصین، لا یعتریه خرق، و لا طیش و لا نزف یسمع كلامنا، و یصغی الینا و یتعرف حجتنا، حتی اذا استفرغنا ما عندنا، و ظننا انا قطعناه، دحض حجتنا بكلام یسیر، و خطاب قصیر، یلزمنا به الحجه، و یقطع [صفحه ۱۰] العذر، و لا نستطیع لجوابه ردا، فان كنت من اصحابه فخاطبنا بمثل خطابه.

سبب املاء الكتاب علی المفضل

اشاره

قال المفضل: فخرجت من المسجد محزونا مفكرا فیما بلی به الاسلام و أهله من كفر هذه العصابه و تعطیلها فدخلت علی مولای علیه السلام فرآنی منكسرا فقال: ما لك؟ فأخبرته بما سمعت من الدهریین و بما رددت علیهما. فقال: یا مفضل لألقین علیك من حكمه البارئ جل و علا و تقدس اسمه فی خلق العالم، و السباع، و البهائم، و الطیر، و الهوام، و كل ذی روح من الأنعام و

النبات، و الشجره المثمره، و غير ذات الثمر و الحبوب، و البقول، المأكول من ذلك و غير المأكول، ما يعتبر به المعتبرون و يسكن الى معرفته المؤمنون، و يتحير فيه الملحدون فبكر على غدا. [صفحه ١١]

المجلس ٠١

اشاره

قال المفضل: فانصرفت من عنده فرحا مسرورا، و طالت على تلك الليله انتظارا لما وعدنى به، فلما أصبحت غدوت فاستؤذن لى فدخلت، و قمت بين يديه، فأمرنى بالجلوس، فجلست، ثم نهض الى حجره كان يخلو فيها، و نهضت بنهوضه، فقال: اتبعنى، فتبعته، فدخل و دخلت خلفه، فجلس و جلست بين يديه، فقال: يا مفضل كأنى بك و قد طالت عليك هذه الليله انتظارا لما وعدتك، فقلت: أجل يا مولاى. فقال: يا مفضل ان الله تعالى كان و لا شى ء قبله، و هو باق و لا نهايه له، فله الحمد على ما ألهمنا، و الشكر على ما منحنا، فقد خصنا من العلوم بأعلاها و من المعالى بأسناها، و اصطفانا على جميع الخلق بعلمه، و جعلنا مهيمنين، عليهم بحكمه. [صفحه ١٢] فقلت: يا مولاى أتأذن لى أن اكتب ما تشرحه - و كنت اعددت معى ما اكتب فيه - فقال لى: افعل يا مفضل.

جهل الشكاك بأسباب الخلقه و معانيها

ان الشكاك جهلوا الأسباب و المعانى فى الخلقه، و قصرت افهامهم عن تأمل الصواب، و الحكمه فيما ذرأ البارى جل قدسه، و برأ من صنوف خلقه فى البر، و البحر، و السهل، و الوعر، فخرجوا بقصر علومهم الى الجحود، و بضعف بصائرهم الى التكذيب و العنود، حتى انكروا خلق الأشياء، و ادعوا أن تكونها بالاهمال، لا صنعه فيها و لا تقدير و لا حكمه من مدبر، و لا صانع، تعالى الله عما يصفون، و قاتلهم الله انى يؤفكون فهم فى ضلالهم و غيهم و تجبرهم بمنزله عميان دخلوا دارا قد بنيت أتقن بناء و أحسنه، و فرشت بأحسن الفرش و أفخره، و أعد فيها ضروب الأطعمه و الأشربه و الملابس و

المآرب التی یحتاج الیها و لا یستغنی عنها، و وضع کل شی ء من ذلک موضعه علی صواب من التقدیر، و حکمه من التدبیر، فجعلوا [صفحه ۱۳] یترددون فیها یمینا و شمالا، و یطوفون بیوتها ادبارا و اقبالا، محجوبه أبصارهم عنها، لا یبصرون بنیه الدار، و ما أعد فیها و ربما عثر بعضهم بالشی ء الذی قد وضع موضعه، و أعد للحاجه الیه، و هو جاهل للمعنی فیه و لم اعد و لماذا جعل کذلک؟ فتذمر و تسخط و ذم الدار و بانیها. فهذه حال هذا الصنف فی انکارهم ما أنکروا من أمر الخلقه و ثبات الصنعه. فانهم لما غربت اذهانهم عن معرفه الأسباب و العلل فی الأشیاء، صاروا یجولون فی هذا العالم حیاری، فلا یفهمون ما هو علیه من اتقان خلقته، و حسن صنعته، و صواب هیئته. و ربما وقف بعضهم علی الشی ء یجهل سببه، و الأرب فیه، فیسرع الی ذمه و وصفه بالاحاله و الخطأ، کالذی أقدمت علیه المنانیه الکفره، و جاهرت به الملحده المارقه الفجره، و أشباههم من أهل الضلال المعللین أنفسهم بالمحال فیحق علی من أنعم الله علیه بمعرفته، و هداه لدینه، و وفقه لتأمل التدبیر فی صنعه الخلائق، و الوقوف علی ما خلقوا له من لطیف التدبیر و صواب التقدیر، بالدلاله القائمه الداله علی صانعها. أن یکثر حمد الله مولاه علی ذلک، و یرغب الیه فی الثبات علیه [صفحه ۱۴] و الزیاده منه فانه جل اسمه یقول: «لئن شکرتم لأزیدنکم».

تهیئه العالم و تألیف أجزائه

یا مفضل أول العبر و الدلاله علی الباری جل قدسه، تهیئه هذا العالم، و تألیف أجزائه و نظمها، علی ما هی علیه، فانک اذا تأملت العالم بفکرک و خبرته

بعقلک، وجدته کالبیت المبنی المعد فیه جمیع ما یحتاج الیه عباده، فالسماء مرفوع کالسقف، و الأرض ممدوده کالبساط، و النجوم مضیئه کالمصابیح، و الجواهر مخزونه کالذخائر، و کل شی ء فیه لشأنه معد، و الانسان کالمالک ذلک البیت، و المخول جمیع ما فیه. و ضروب النبات مهیأه لمآربه، و صنوف الحیوان مصروفه فی مصالحه و منافعه. ففی هذا دلاله واضحه علی أن العالم مخلوق بتقدیر و حکمه و نظام و ملاءمه، و أن الخالق له واحد، و هو الذی ألفه و نظمه بعضا الی بعض، جل قدسه و تعالی جده و کرم وجهه و لا اله غیره [صفحه ۱۵] تعالی عما یقول الجاحدون، و جل و عظم عما ینتحله الملحدون.

خلق الانسان و تدبیر الجنین فی الرحم

نبدأ یا مفضل بذکر خلق الانسان فاعتبر به... فأول ذلک ما یدبر به الجنین فی الرحم، و هو محجوب فی ظلمات ثلاث: ظلمه البطن، و ظلمه الرحم، و ظلمه المشیمه، حیث لا حیله عنده فی طلب غذاء، و لا دفع أذی. و لا استجلاب منفعه، و لا دفع مضره، فانه یجری الیه من دم الحیض ما یغذوه، الماء و النبات، فلا یزال ذلک غذاؤه.

کیفیه ولاده الجنین و غذائه و طلوع أسنانه و بلوغه

حتی اذا کمل خلقه و استحکم بدنه و قوی أدیمه علی مباشره الهواء، و بصره علی ملاقاه الضیاء هاج الطلق بأمه فأزعجه أشد ازعاج واعنفه حتی یولد، فاذا ولد صرف ذلک [صفحه ۱۶] الدم الذی کان یغذوه من دم أمه الی ثدیها و انقلب الطعم و اللون الی ضرب آخر من الغذاء و هو أشد موافقه للمولود من الدم فیوافیه فی وقت حاجته الیه، فحین یولد قد تلمظ و حرک شفتیه طلبا للرضاع، فهو یجد ثدی امه کالأداوتین المعلقتین لحاجته فلا یزال یتغذی باللبن، ما دام رطب البدن رقیق الامعاء لین الاعضاء. حتی اذا تحرک، و احتاج الی غذاء فیه صلابه لیشتد و یقوی بدنه، طلعت له الطواحن من الاسنان و الاضراس لیمضغ بها الطعام، فیلین علیه. و یسهل له اساغته، فلا یوال کذلک حتی یدرک، فاذا أدرک و کان ذکرا طلع الشعر فی وجهه، فکان ذلک علامه الذکر، و عز الرجل الذی یخرج به من جده الصبا و شبه النساء. و ان کانت انثی یبقی وجهها نقیا من الشعر، لتبقی لها البهجه، و النضاره التی تحرک الرجل لما فیه دوام النسل و بقاؤه. اعتبر یا مفضل فیما یدبر به الانسان فی هذه الأحوال المختلفه، هل تری مثله یمکن

أن يكون بالاهمال؟ أفرأيت لو لم يجر اليه ذلك الدم و هو فى الرحم، ألم يكن سيذوى و يجف كما يجف النبات اذا فقد الماء، و لو لم يزعجه المخاض عند استحكامه ألم يكن سيبقى فى الرحم كالمؤود [صفحه ۱۷] فى الأرض؟ و لو لم يوافقه اللبن مع ولادته ألم يكن سيموت جوعا أو يغتذى بغذاء لا يلائمه، و لا يصلح عليه بدنه، و لو لم تطلع له الاسنان فى وقتها ألم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام واساغته. أو يقيمه على الرضاع فلا يشتد بدنه و لا يصلح لعمل؟ ثم كان يشغل امه بنفسه عن تربيه غيره من الأولاد.

حال من لا ينبت فى وجهه الشعر و عله ذلک

و لو لم يخرج الشعر فى وجهه فى وقته ألم يكن سيبقى فى هيئه الصبيان و النساء، فلا ترى له جلالة و لا وقارا؟ قال المفضل فقلت له: يا مولاى فقد رأيت من يبقى على حالته و لا ينبت الشعر فى وجهه و ان بلغ الكبر، فقال عليه السلام «ذلک بما قدمت أيديكم و أن الله ليس بظلام للعبيد» فمن هذا الذى يرصده حتى يوافيه بكل شى ء من هذه المآرب الا الذى أنشأه خلقا، بعد ان لم يكن، ثم توكل له بمصلحته بعد أن كان، فان كان الاهمال يأتى بمثل [صفحه ۱۸] هذا التدبير، فقد يجب أن يكون العمد و التقدير يأتيان بالخطأ و المحال، لأنهما ضد الاهمال و هذا فظيع من القول و جهل من قائله. لأن الاهمال لا يأتى بالصواب و التضاد لا يأتى بالنظام، تعالى الله عما يقول الملحدون علوا كبيرا.

حال المولود لو ولد فهما عاقلا و تعليل ذلک

و لو كان المولود يولد فهما عاقلا لأنكر العالم عند ولادته و لبقى حيرانا تائه العقل اذا رأى ما لم يعرف، وورد عليه ما لم ير مثله من اختلاف صور العالم من البهائم و الطير، الى غير ذلک مما يشاهده ساعه بعد ساعه و يوما بعد يوم. و اعتبر ذلک بأن من سبى من بلد و هو عاقل، يكون كالواله الحيران فلا يسرع الى تعلم الكلام، و قبول الأدب، كما يسرع الذى سبى صغيرا غير عاقل، ثم لو ولد عاقلا كان يجد غضاضه اذا رأى نفسه محمولا مرضعا معصبا بالخرق مسجى فى المهد لأنه لا يستغنى عن هذا كله. لرقه بدنه و رطوبته حين يولد ثم كان لا يوجد له من الحلاوه و الوقع [صفحه ۱۹] من القلوب ما

يوجد للطفل فصار يخرج الى الدنيا غبيا غافلا عما فيه أهله، فيلقى الأشياء بذهن ضعيف و معرفه ناقصه. ثم لا يزال يتزايد فى المعرفه قليلا قليلا، و شيئا بعد شى ء، و حالا بعد حال، حتى يألف الأشياء، و يتمرن و يستمر عليها، فيخرج من حد التأمل لها و الحيره فيها الى التصرف، و الاضطرار الى المعاش بعقله و حيلته، و الى الاعتبار و الطاعه و السهو و الغفله و المعصيه، و فى هذا أيضا وجوه أخر، فانه لو كان يولد تام العقل مستقلا بنفسه لذهب موضع حلاوه تربيه الاولاد، و ما قدر أن يكون للوالدين فى الاشتغال بالولد من المصلحه و ما يوجب التربيه للآباء على الابناء من المكافأه بالبر، و العطف عليهم، عند حاجتهم الى ذلك منهم ثم كان الاولاد لا يألفون آباءهم و لا يألف الآباء أبناءهم، لأن الأولاد كانوا يستغنون عن تربيه الآباء و حياطتهم، فيتفرقون عنهم حين يولدون، فلا يعرف الرجل أباه و أمه، و لا يمتنع عن نكاح امه و اخته، و ذوات المحارم منه، اذا كان لا يعرفهن. و أقل ما فى ذلك من القباحه، بل هو أشنع و اعظم و أفظع و أقبح و أبشع، لو خرج المولود من بطن أمه و هو يعقل، أن يرى منها ما لا يحل له، و لا يحسن [صفحه ٢٠] به أن يراه، أفلا ترى كيف اقيم كل شى ء من الخلقه على غايه الصواب؟ و خلا من الخطأ دقيقه و جليله.

منفعه الأطفال فى البكاء

اعرف يا مفضل ما للأطفال فى البكاء من المنفعه. و اعلم ان فى أدمغه الأطفال رطوبه، ان بقيت فيها احدثت عليهم احداثا جليله و عللا عظيمه، من ذهاب البصر

و غیره، و البکاء یسیل تلک الرطوبه من رؤوسهم فیعقبهم ذلک الصحه فی أبدانهم و السلامه فی أبصارهم. أفلیس قد جاز أن یکون الطفل ینتفع بالبکاء و والداه لا یعرفان ذلک فهما دائبان لیسکتانه و یتوخیان فی الأمور مرضاته لئلا یبکی، و هما لا یعلمان أن البکاء اصلح له و اجمل عاقبه. فهکذا یجوز أن یکون فی کثیر من الأشیاء منافع لا یعرفها القائلون بالاهمال و لو عرفوا ذلک لم یقضوا علی الشی ء أنه لا منفعه فیه، من اجل انهم لا یعرفونه و لا یعلمون السبب فیه، فان کل ما لا یعرفه المنکرون یعلمه العارفون و کثیرا ما یقصر عنه علی المخلوقین محیط به الخالق جل قدسه و علت کلمته. [صفحه ۲۱] فأما ما یسیل من أفواه الأطفال من الریق، ففی ذلک خروج الرطوبه التی لو بقیت فی ابدانهم لأحدثت علیهم الأمور العظیمه، کمن تراه قد غلبت علیه الرطوبه، فأخرجته الی حد البله و الجنون و التخلیط الی غیر ذلک من الأمراض المتلفه کالفالج و اللقوه و ما اشبههما، فجعل الله تلک الرطوبه تسیل من أفواههم فی صغرهم، لما لهم فی ذلک من الصحه فی کبرهم، فتفضل علی خلقه بما جهلوه و نظر لهم بما لم یعرفوه، و لو عرفوا نعمه علیهم لشغلهم ذلک من التمادی فی معصیته، فسبحانه ما اجل نعمته و اسبغها علی المستحقین و غیرهم من خلقه، تعالی عما یقول المبطلون علوا کبیرا.

آلات الجماع و هیئتها

انظر الآن یا مفضل کیف جعلت آلات الجماع فی الذکر و الأنثی جمیعا علی ما یشاکل ذلک علیه، فجعل للذکر آله ناشره تمتد حتی تصل النطفه الی الرحم، اذ کان محتاجا الی أن یقذف ماءه فی غیره،

و خلق للأنثى وعاء [صفحه ۲۲] قعرا ليشتمل على الماءين جميعا. و يحتمل الولد و يتسع له و يصونه حتى يستحكم، اليس ذلك من تدبير حكيم لطيف سبحانه و تعالى عما يشركون!؟

اعضاء البدن و فوائد كل منها

فكر يا مفضل فى اعضاء البدن اجمع، و تدبير كل منها للأرب فاليدان للعلاج، و الرجلان للسعى، و العينان للاهتداء، و الفم للاغتذاء و المعده للهضم، و الكبد للتخليص، و المنافذ لتنفيذ الفضول، و الأوعيه لحملها، والفرج لاقامه النسل، و كذلك جميع الأعضاء، اذا ما تأملتها و اعملت فكرك فيها و نظرك، وجدت كل شى ء منها قد قدر لشى ء على صواب و حكمه.

زعم الطبيعيين و جوابه

قال المفضل فقلت: يا مولاى أن قوما يزعمون أن هذا من فعل الطبيعه، فقال عليه السلام: سلهم عن هذه الطبيعه [صفحه ۲۳] أهى شى ء له علم و قدره على مثل هذه الأفعال، أم ليست كذلك؟؟ فان أوجبوا لها العلم و القدره فما يمنعهم من اثبات الخالق، فان هذه صنعته!!، و ان زعموا أنها تفعل هذه الأفعال بغير علم و لا عمد، و كان فى افعالها ما قد تراه من الصواب و الحكمه، علم أن هذا الفعل للخالق الحكيم، فان الذى سموه طبيعه هو سنته فى خلقه، الجاريه على ما اجراها عليه.

عمليه الهضم و تكون الدم و جريانه فى الشرايين و الاورده

فكر يا مفضل فى وصول الغذاء الى البدن، و ما فيه من التدبير، فان الطعام يصير الى المعده فتطبخه، و تبعث بصفوه الى الكبد، فى عروق دقاق واشجه بينهما، و قد جعلت كالمصفى للغذاء، لكى لا يصل الى الكبد منه شى ء فينكأها و ذلك أن الكبد رقيقه لا تحتمل العنف، ثم أن الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دما، و ينفذه الى البدن كله فى مجارى مهيئه لذلك، بمنزله المجارى التى تهيأ للماء ليطرد [صفحه ۲۴] فى الأرض كلها و ينفذ ما يخرج منه من الخبث. و الفضول الى مفائض قد أعدت لذلك فما كان منه من جنس المره الصفراء جرى الى المراره و ما كان من جنس السوداء جرى الى الطحال، و ما كان من البله و الرطوبه جرى الى المثانه. فتأمل حكمه التدبير فى تركيب البدن، و وضع هذه الأعضاء منه مواضعها، و اعداد هذه الأوعيه فيه، لتحمل تلك الفضول، لئلا تنتشر فى البدن فتسقمه و تنهكه، فتبارك من أحسن التقدير، و أحكم التدبير، و له الحمد كما هو أهله و

مستحقه.

اول نشوء الأبدان: تصوير الجنين فى الرحم

قال المفضل فقلت: صف نشوء الأبدان و نموها حالا بعد حال حتى تبلغ التمام و الكمال. قال عليه السلام: أول ذلك تصوير الجنين فى الرحم حيث لا تراه عين و لا تناله يد، و يدبره حتى يخرج سويا [صفحه ۲۵] مستوفيا جميع ما فيه قوامه و صلاحه من الاحشاء و الجوارح و العوامل، الى ما فيه تركيب أعضائه من العظام، و اللحم، و الشحم، و العصب، و المخ، و العروق و الغضاريف. فاذا خرج الى العالم تراه كيف ينمو بجميع اعضائه و هو ثابت على شكل و هيئه لا تتزايد و لا تنقص الى أن يبلغ اشده ان مد فى عمره أو يستوفى مدته قبل ذلك، هل هذا الا من لطيف التدبير و الحكمه.

اختصاص الانسان بالانتصاب و الجلوس دون البهائم

انظر يا مفضل ما خص به الانسان فى خلقه تشرفا، و تفضلا على البهائم، فانه خلق ينتصب قائما، و يستوى جالسا، ليستقبل الاشياء بيديه و جوارحه، و يمكنه العلاج و العمل بهما فلو كان مكبوبا على وجهه كذوات الأربع، لما استطاع أن يعمل شيئا من الأعمال. [صفحه ۲۶]

تخصص الانسان بالحواس و تشرفه بها دون غيره

انظر الآن يا مفضل الى هذه الحواس التى خص بها الانسان فى خلقه، و شرف بها على غيره. كيف جعلت العينان فى الرأس، كالمصابيح فوق المناره؟ ليتمكن من مطالعه الأشياء، و لم تجعل فى الاعضاء التى تحتهن، كاليدين و الرجلين، فتعترضها الآفات و يصيبها من مباشره العمل و الحركه، ما يعللها و يؤثر فيها و ينقص منها، و لا فى الاعضاء التى وسط البدن، كالبطن، و الظهر، فيعسر تقلبها، و اطلاعها نحو الأشياء.

الحواس الخمس و أعمالها و ما فى ذلك من الأسرار

فلما لم يكن لها فى شى ء من هذه الأعضاء موضع، كان الرأس أسنى المواضع للحواس، و هو بمنزله الصومعه لها. فجعل الحواس خمسا تلقى خمسا لكى لا يفوتها شى ء من المحسوسات. فخلق البصر ليدرك الألوان فلو كانت [صفحه ۲۷] الألوان و لم يكن بصر يدركها، لم تكن فيها منفعه. و خلق السمع ليدرك الأصوات، فلو كانت الأصوات و لم يكن سمع يدركها، لم يكن فيها ارب، و كذلك سائر الحواس، ثم هذا يرجع متكافيا، فلو كان بصر و لم تكن الألوان، لما كان للبصر معنى، و لو كان سمع و لم تكن أصوات، لم يكن للسمع موضع.

تقدير الحواس بعضها يلقى بعضا

فانظر كيف قدر بعضها يلقى بعضا، فجعل لكل حاسه محسوسا يعمل فيه. و لكل محسوس حاسه تدركه، و مع هذا فقد جعلت أشياء متوسطه بين الحواس و المحسوسات، لا- تتم الحواس الا- بها، كمثل الضياء و الهواء، فانه لو لم يكن ضياء يظهر اللون للبصر، لم يكن البصر يدرك اللون، و لو لم يكن هواء يؤدى الصوت الى السمع، لم يكن السمع يدرك الصوت. فهل يخفى

علیه من صح نظره و أعمل فکره، أن مثل هذا الذی وصفت من تهیئه الحواس و المحسوسات بعضها یلقی بعضا، و تهیئه اشیاء اخر بها تتم [صفحه ۲۸] الحواس، لا یکون الا بعمل و تقدیر من لطیف خبیر.

فیمن عدم البصر و السمع و العقل و ما فی ذلک من الموعظه

فکر یا مفضل فیمن عدم البصر من الناس. و ما یناله من الخلل فی أموره، فانه لا یعرف موضع قدمیه، و لا یبصر ما بین یدیه، فلا یفرق بین الألوان، و بین النظر الحسن و القبیح، و لا یری حفره ان هجم علیها و لا عدوا ان اهوی الیه بسیف، و لا یکون له سبیل الی أن یعمل شیئا من هذه الصناعات مثل الکتابه و التجاره و الصیاغه. حتی أنه لولا نفاذ ذهنه لکان بمنزله الحجر الملقی. و کذلک من عدم السمع، یختل فی أمور کثیره، فانه یفقد روح المخاطبه و المحاوره، و یعدم لذه الأصوات و اللحون المشجیه و المطربه، و تعظم المؤنه علی الناس فی محاورته. حتی یتبرموا به، و لا یسمع شیئا من أخبار الناس و أحادیثهم، حتی یکون کالغائب و هو شاهد، أو کالمیت و هو حی. [صفحه ۲۹] فأما من عدم العقل، فانه یلحق بمنزله البهائم، بل یجهل کثیرا مما تهتدی الیه البهائم،

أفلا ترى كيف صارت الجوارح و العقل، و سائر الخلال التى بها صلاح الانسان، و التى لو فقد منها شيئا لعظم ما يناله فى ذلك من الخلل، يوافى خلقه على التمام حتى لا يفقد شيئا منها، فلم كان كذلك؟ الا أنه خلق بعلم و تقدير. قال المفضل: فقلت فلم صار بعض الناس يفقد شيئا من هذه الجوارح فيناله من ذلك مثل ما وصفته يا مولاى؟ قال عليه السلام: ذلك للتأديب و الموعظه لمن يحل ذلك به و لغيره بسببه كما يؤدب الملوك الناس للتنكيل و الموعظه، فلا ينكر عليهم، بل يحمد من رأيهم، و يتصوب من تدبيرهم. ثم أن للذين تنزل بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت - ان شكروا و أنابوا - ما يستصغرون معه ما ينالهم منها، حتى انهم لو خيروا بعد الموت لاختاروا أن يردوا الى البلايا ليزدادوا من الثواب. [صفحه ٣٠]

الأعضاء المخلوقه أفرادا و أزواجا و كيفيه ذلك

فكر يا مفضل فى الاعضاء التى خلقت افرادا و أزواجا، و ما فى ذلك من الحكمه و التقدير، و الصواب فى التدبير. فالرأس مما خلق فردا، و لم يكن للانسان صلاح فى أن يكون له أكثر من واحد. ألا ترى لو اضيف الى رأس الانسان رأس آخر لكان ثقلا عليه، من غير حاجه اليه، لأن الحواس التى يحتاج اليها مجتمعه فى رأس واحد. ثم كان الانسان ينقسم قسمين لو كان له رأسان، فان تكلم كان الآخر معطلا لا أرب فيه و لا حاجه اليه، و ان تكلم منهما جميعا بكلام واحد، كان احدهما فضلا لا يحتاج اليه، و ان تكلم بأحدهما بغير الذى تكلم به من الآخر، لم يدر السامع بأى ذلك يأخذ و أشباه هذه من الاخلاط.

و اليـدان مما خلق ازواجا، و لم يكن للانسان خير فى أن يكون له يـد واحده لأن ذلك كان يخل به فيما يحتاج الى معالجته من الاشياء ألا ترى ان النجار و البناء لو شلت [صفحه ۳۱] احدى يديه لا يستطيع أن يعالج صناعته، و ان تكلف ذلك لم يحكمه، و لم يبلغ منه ما يبلغ اذا كانت يداه تتعاونان على العمل.

الصوت و الكلام و تهيئه آلاته فى الانسان و عمل كل منها

أطـل الفكر يـا مفضـل فى الصوت و الكلاـم و تهيئه آلاته فى الانسان فالحنجره كالانبوبه لخروج الصوت، و اللسان و الشـفتان و الاسـنان لصـياغه الحروف و النغم. ألا ترى أن من سـقطت اسـنانه لم يقم السـين، و من سـقطت شفته لم يصحح الفاء، و من ثقل لسانه لم يفصح الراء، و اشبه شى ء بذلك المزمار الأعظم، فالحنجره تشبه قصبه المزمار، و الرئه تشبه الزق الذى ينفخ فيه لتدخل الريـح، و العضـلات الـتى تقبض على الرئـه ليخرج الصـوت كالأصـابع الـتى تقبض على الزق حـتى تجرى الريـح فى المزامير و الشـفتان و الاسنان التى تصوغ الصوت حروفا و نغما كالأصابع التى تختلف فى فم المزمار فتصوغ صفيره ألحانا غير أنه و ان كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالآله و التعريف فان المزمار – فى [صفحه ۳۲] الحقيقه – هو المشبه بمخرج الصوت.

ما فى الأعضاء من المآرب الأخرى

قـد أنبأتـك بمـا فى الأعضـاء من الغنـاء فى صـنعه الكلام و اقامه الحروف، و فيها مع الـذى ذكرت لك مآرب اخرى. فالحنجره ليسـلك فيها هذا النسـيم الى الرئه، فتروح على الفؤاد بالنفس الدائم المتتابع الذى لو حبس شـيئا يسـيرا لهلك الانسان، و باللسان تـذاق الطعوم، فيميز بينها، و يعرف كل واحـد منها حلوها من مرها و حامضـها من مرها و مالحها من عذبها و طيبها من خبيثها، و فيه مع ذلك معونه على اساغته، و هى مع ذلك كالسـند للشـفتين تمسـكهما و تدعمهما من داخل الفم و اعتبر ذلك فانك ترى من سقطت اسنانه مسترخى الشفه و مضطربها، و بالشفتين يترشف الشراب، حتى يكون الذى يصل الى الجوف منه بقصد و قدر، لا يثج ثجا، فيغص به الشارب، أو ينكأ فى الجوف، ثم

همی بعد ذلک کالباب المطبق علی الفم یفتحها الانسان اذا شاء و یطبقها اذا شاء. و فیما وصفنا من هذا بیان. [صفحه ۳۳] ان کل واحد من هذه الاعضاء یتصرف، و ینقسم الی وجوه من المنافع کما تتصرف الأداه الواحده فی اعمال شتی، و ذلک کالفأس تستعمل فی النجاره و الحفر و غیرهما من الأعمال.

الدماغ و أغشیته و الجمجمه وفائدتها

و لو رأیت الدماغ اذا کشف عنه لرأیته قد لف بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الأعراض، و تمسکه فلا یضطرب. و لرأیت علیه الجمجمه بمنزله البیضه، کیما تقیه هد الصدمه، و الصکه التی ربما وقعت فی الرأس ثم قد جللت الجمجمه بالشعر، حتی صارت بمنزله الفرو للرأس یستره من شده الحر و البرد، فمن حصن الدماغ هذا التحصین، الا الذی خلقه و جعله ینبوع الحس، و المستحق للحیطه و الصیانه، بعلو منزلته من البدن، و ارتفاع درجته، و خطیر مرتبته. [صفحه ۳۴]

الجفن و أشفاره

تأمل یا مفضل: الجفن علی العین کیف جعل کالغشاء و الاشفار کالاشراح و أولجها فی هذا الغار، و أظلها بالحجاب. و ما علیه من الشعر.

الفؤاد و مدرعته

یا مفضل من غیب الفؤاد فی جوف الصدر، و کساه المدرعه التی غشاؤه، و حصنه بالجوانح و ما علیها من اللحم و العصب، لئلا یصل الیه ما ینکأه.

الحلق و المری ء

من جعل فی الحلق منفذین احدهما لمخرج الصوت و هو الحلقوم المتصل بالرئه، و الآخر منفذا للغذاء، و هو المری ء المتصل بالمعده الموصل الغذاء الیها، و جعل علی الحلقوم طبقا یمنع الطعام أن یصل الی الرئه فیقتل. [صفحه ۳۵]

الرئه و عملها... اشراج منافذ البول و الغائط

من جعل الرئه مروحه الفؤاد لا تفتر و لا تختل لکیلا تتحیر الحراره فی الفؤاد، فتؤدی الی التلف؟. من جعل لمنافذ البول و الغائط أشراجا. تضبطهما، لئلا یجریا جریانا دائما، فیفسد علی الانسان عیشه فکم عسی أن یحصی المحصی من هذا، بل الذی لا یحصی منه و لا یعلمه الناس أکثر.

المعده عصبانیه و الکبد

من جعل المعده عصبانیه شدیده و قدرها لهضم الطعام الغلیظ؟ و من جعل الکبد رقیقه ناعمه لقبول الصفو اللطیف من الغذاء، و لتهضم و تعمل ما هو ألطف من عمل المعده الا الله القادر؟ أتری الاهمال یأتی بشی ء من ذلک؟ کلا! بل هو تدبیر مدبر حکیم قادر، علیم بالاشیاء قبل خلقه ایاها، لا یعجزه شی ء و هو اللطیف الخبیر. [صفحه ۳۶]

المخ و الدم و الاظفار و الاذن و لحم الاليتين و الفخذين

فكر يا مفضل لم صار المخ الرقيق محصنا فى أنابيب العظام؟ و هل ذلك الا ليحفظه و يصونه؟. لم صار الدم السائل محصورا فى العروق بمنزله الماء فى الظروف. الا ترى وقايه لها و معونه على العمل؟ لم صار داخل الاذن ملتويا كهيأه اللولب الا ليطرد فيه الصوت، حتى ينتهى الى السمع، و ليكسر حمه الريح، فلا ينكأ فى السمع؟ لم حمل الانسان على فخذيه و اليتيه هذا اللحم، الا ليقيه من الأرض، فلا يتألم من الجلوس عليها، كما يألم من نحل جسمه و قل لحمه، اذا لم يكن بينه و بين الأرض حائل يقيه صلابتها.

الأنسان ذكر و انثى و تناسله و آلات العمل و حاجته و حيلته و الزامه بالحجه

من جعل الانسان ذكرا و انثى الا من خلقه متناسلا؟ و من خلقه متناسلا الا من خلقه مؤملا؟ و من أعطاه آلات [صفحه ۳۷] محتاجا؟ و من جعله محتاجا الا من ضربه بالحاجه؟ و من ضربه بالحاجه الا من توكل بتقويمه؟ و من خصه بالفهم الا من أوجب الجزاء؟ و من وهب له الحيله الا من ملكه الحول و من ملكه الحول الا من ألزمه الحجه؟ و من يكفيه ما لا تبلغه حيلته الا من لم يبلغ مدى شكره. فكر و تدبر ما وصفته. هل تجد الاهمال يأتى على مثل هذا النظام و الترتيب تبارك الله و تعالى عما يصفون.

الفؤاد و ثقبه المتصله بالرئه

اصف لك الآن يا مفضل الفؤاد... اعلم أن فيه ثقبا موجهه نحو الثقب التى فى الرئه تروح عن الفؤاد، حتى لو اختلفت تلك الثقب و تزايل بعضها عن بعض، لما وصل الروح الى الفؤاد، و لهلك الانسان افيستجيز ذو فكره و رويه أن يزعم أن مثل هذا يكون بالاهمال، و لا يجد شاهدا من نفسه يزعه عن هذا القول؟ لو رأيت فردا من مصراعين فيه كلوب أكنت تتوهم أنه جعل كذلك بلا معنى؟ بل كنت تعلم ضروره أنه مصنوع يلقى فردا آخر، فيبرزه ليكون فى [صفحه ۳۸] اجتماعهما ضرب من المصلحه. و هكذا تجد الذكر من الحيوان، كأنه فرد من زوج مهيأ من فرد انثى، فليتقيان لما فيه من دوام النسل و بقائه، فتبا و خيبه و تعسا لمنتحلى الفلسفه كيف عميت قلوبهم عن هذه الخلقه العجيبه حتى انكروا التدبير و العمد فيها؟.

فرج الرجل و الحكمه فيه

لو كان فرج الرجل مسترخيا، كيف كان يصل الى قعر الرحم، حتى يفرغ النطفه فيه؟ و لو كان منعضا ابدا كيف كان الرجل يتقلب فى الفراش، او يمشى بين الناس و شى ء شاخص أمامه، ثم يكون فى ذلك مع قبح المنظر. تحريك الشهوه فى كل وقت من الرجال و النساء جميعا، فقدر الله جل اسمه أن يكون أكثر ذلك لا يبدو للبصر فى كل وقت، و لا يكون على الرجال منه مؤنه، بل جعل فيه قوه الانتصاب وقت الحاجه الى ذلك، لما قدر أن يكون فيه من دوام النسل و بقائه. [صفحه ۳۹]

منفذ الغائط و وصفه

اعتبر الآن يا مفضل بعظم النعمه على الانسان فى مطعمه و مشربه و تسهيل خروج الأذى. أليس من حسن التقدير فى بناء الدار أن يكون الخلاء فى استر موضع منها، فكذا جعل الله سبحانه المنفذ المهيأ للخلاء من الانسان فى استر موضع منه، فلم يجعله بارزا من خلفه، و لا ناشزا من بين يديه، بل هو منيب فى موضع غامض من البدن، مستور محجوب، يلتقى عليه الفخذان، و

تحجبه الاليتان بما عليهما من اللحم فتواريانه، فاذا احتاج الانسان الى الخلاء، و جلس تلك الجلسه الفى ذلك المنفذ منه منصبا، مهيأ لانحدار الثقل. فتبارك من تظاهرت آلاؤه و لا تحصى نعماؤه.

الطواحن من أسنان الانسان

فكر يا مفضل فى هذه الطواحن، التى جعلت للانسان، فبعضها حداد لقطع الطعام و قرضه، و بعضها [صفحه ۴۰] عراض لمضغه و رضه، فلم ينقص واحد من الصفتين، اذا كان محتاجا اليهما جميعا.

الشعر و الاظفار و فائده قصهما

تأمل و اعتبر بحسن التدبير فى حلق الشعر و الأظفار، فانهما لما كانا مما يطول و يكثر، حتى يحتاج الى تخفيفه أولا فأولا، جعلا عديما الحس، لئلا يؤلم الانسان الأخذ منهما. و لو كان قص الشعر و تقليم الأظفار مما يوجد له ألم، وقع من ذلك بين مكروهين، اما أن يدع كل منهما حتى يطول فيثقل عليه، و أما أن يخففه بوجع و ألم يتألم منه. قال المفضل فقلت: فلم لم يجعل ذلك خلقه لا تزيد فيحتاج الانسان الى النقصان منه، فقال عليه السلام: أن لله تبارك اسمه فى ذلك على العبد نعما لا يعرفها، فيحمده عليها... اعلم ان آلام البدن و أدواءه تخرج بخروج الشعر فى مسامه و بخروج الأظفار من أناملها، و لذلك أمر الانسان بالنوره، و حلق الرأس، و قص الأظفار، فى كل أسبوع [صفحه ۴۱] ليسرع الشعر و الاظفار فى النبات، فتخرج الآلام و الأدواء بخروجهما... و اذا طالا تحيرا، و قل خروجهما، فاحتسبت الآلام و الادواء فى البدن فأحدثت عللا و أوجاعا، و منه - مع ذلك - الشعر من المواضع التى تضر بالانسان، و تحدث عليه الفساد و الضر لو نبت الشعر فى العين، ألم يكن سيعمى البصر؟ و لو نبت فى الفم، ألم يكن سينغص على الانسان طعامه و شرابه؟ و لو نبت فى باطن الكف، ألم يكن سيعوقه عن صحه اللمس و بعض الأعمال؟ و لو نبت فى فرج المرأه و على

ذكر الرجل، ألم يكن سيفسد عليهم لذه الجماع؟.... فانظر كيف تنكب الشعر عن هذه المواضع، لما فى ذلك من المصلحه، ثم ليس هذا فى الانسان فقط، بل تجده فى البهائم و السباع و سائر المتناسلات، فانك ترى اجسامها مجلله بالشعر و ترى هذه المواضع خاليه منه لهذا السبب بعينه... فتأمل الخلقه كيف تتحرز وجوه الخطأ و المضره، و تأتى بالصواب و المنفعه. [صفحه ۴۲]

شعر الركب و الابطين

ان المنانيه و اشباههم، حين اجهدوا فى عيب الخلقه و العمد عابوا الشعر النابت على الركب و الابطين، و لم يعلموا أن ذلك من رطوبه تنصب الى هذه المواضع، فينبت فيها الشعر كما ينبت العشب فى مستنقع المياه أفلا ترى الى هذه المواضع استر واهيأ لقبول تلك الفضله من غيرها؟.... ثم ان هذه تعد مما يحمل الانسان من مؤنه هذا البدن و تكاليفه، لما له فى ذلك من المصلحه، فأن اهتمامه بتنظيف بدنه. و أخذ ما يعلوه من الشعر، مما يكسر به شرته و يكف عاديته و يشغله عن بعض ما يخرجه اليه الفراغ من الأشر و البطاله.

الريق و ما فيه من المنفعه

تأمل الريق و ما فيه من المنفعه، فانه جعل يجرى جريانا دائما الى الفم، ليبل الحلق و اللهوات فلا يجف، فان [صفحه ۴۳] هذه المواضيع لو جعلت كذلك، كان فيه هلاك الاسنان ثم كان لا يستطيع أن يسيغ طعاما، اذا لم يكن فى الفم بله تنفذه، تشهد بذلك المشاهده، و اعلم أن الرطوبه مطيه الغذاء و قد تجرى من هذه البله الى مواضع أخر من المره فيكون فى ذلك صلاح تام للانسان، و لو يبست المره لهلك الانسان.

محاذير كون بطن الانسان كهيئه القباء

و لقد قال قوم من جهله المتكلمين و ضعفه المتفلسفين بقله التميز و قصور العلم: لو كان بطن الانسان كهيئه القباء يفتحه الطبيب اذا شاء فيعاين ما فيه، و يدخل يده فيعالج ما أراد علاجه ألم يكن أصلح من أن يكون مصمتا محجوبا عن البصر و اليد، لا يعرف ما فيه الا بدلالات غامضه، كمطل النظر الى البول، و جس العرق، و ما أشبه ذلك مما يكثر فيه الغلط و الشبهه، حتى ربما كان ذلك سببا للموت، فلو علم هؤلاء الجهله أن هذا لو كان هكذا، كان أول ما فيه أن كان يسقط عن الانسان الوجل من الأمراض و الموت و كان [صفحه ۴۴] يستشعر البقاء و يغتر بالسلامه فيخرجه ذلك الى العتو و الأشر. ثم كانت الرطوبات التى فى البطن تترشح و تتحلب فيفسد على الانسان مقعده و مرقده و ثياب بدلته و زينته، بل كان يفسد عليه عيشه، ثم أن المعده و الكبد و الفؤاد انما يفعل أفعالها بالحراره الغريزيه التى جعلها الله محتبسه فى الجوف، فلو كان فى البطن فرج ينفتح حتى يصل البصر الى رؤيته، واليد الى علاجه، لوصل برد

الهواء الى الجوف. فمازج الحراره الغريزيه، و بطل عمل الاحشاء، فكان فى ذلك هلاك الانسان، أفلا ترى أن كل ما تذهب اليه الأوهام - سوى ما جاءت به الخلقه - خطأ و خطل.

افعال الانسان فى الطعم و النوم و الجماع و شرح ذلك

فكر يا مفضل فى الأفعال التى جعلت فى الانسان من الطعم و النوم و الجماع و ما دبر فيها.... فانه جعل لكل واحد منها فى الطباع نفسه محرك يقتضيه و يستحث به، فالجوع يقتضى الطعم الذى فيه راحه البدن و قوامه و الكرى يقتضى النوم الذى فيه راحه البدن و اجمام قواه، و الشبق [صفحه ۴۵] يقتضى الجماع الذى فيه دوام النسل و بقاؤه... و لو كان الانسان انما يصير الى أكل الطعام، لمعرفته بحاجه بدنه اليه، و لم يجد من طباعه شيئا يضطره الى ذلك، كان خليقا أن يتوانى عنه احيانا بالثقل و الكسل، حتى يضعف بدنه فيهلك، كما يحتاج الواحد الى الدواء لشى ء مما يصلح به بدنه فيدافع به حتى يؤديه ذلك الى المرض و الموت، و كذلك لو كان انما يصير الى النوم بالفكر فى حاجته الى راحه البدن و اجمام قواه كان عسى أن يتثاقل عن ذلك، فيدفعه حتى ينهك بدنه. و لو كان انما يتحرك للجماع بالرغبه فى الولد كان غير بعيد أن يفتر عنه، حتى يقل النسل أو ينقطع فان من الناس من لا يرغب فى الولد، و لا يحفل به. فانظر كيف جعل لكل واحد من هذه الأفعال التى بها قوام الانسان و صلاحه، محركا من نفس الطبع يحركه لذلك، و يحدوه عليه. و اعلم أن فى الانسان قوى اربعا: قوه جاذبه تقبل الغذاء و تورده على المعده، و قوه ماسكه تحبس الطعام،

حتی تفعل فیه الطبیعه فعلها، و قوه هاضمه، و هی التی [صفحه ۴۶] تطبخه، و تستخرج صفوه، و تبثه فی البدن، و قوه دافعه تدفعه و تحدر الثفل الفاضل، بعد اخذ الهاضمه حاجتها... ففکر فی تقدیر هذه القوی الأربع التی فی البدن و أفعالها و تقدیرها للحاجه الیها و الأرب فیها، و ما فی ذلک من التدبیر و الحکمه، فلولا الجاذبه کیف کان یتحرک الانسان لطلب الغذاء الذی به قوام البدن؟ و لولا الماسکه کیف کان یلبث الطعام فی الجوف حتی تهضمه المعده؟ و لولا الهاضمه کیف کان ینطبخ حتی یخلص منه الصفو الذی یغذو البدن و یسد خلله و لولا الدافعه کیف کان الثفل الذی تخلفه الهاضمه یندفع و یخرج أولا فأولا؟ أفلا تری کیف و کل الله سبحانه - بلطف صنعه و حسن تقدیره - هذه القوی بالبدن، و القیام بما فیه صلاحه... و سأمثل لک فی ذلک مثالا: أن البدن بمنزله دار الملک، له فیها حشم وصبیه و قوام موکلون بالدار، فواحد لقضاء حوائج الحشم و ایرادها علیهم، و آخر لقبض ما یرد و خزنه، الی أن یعالج و یهیأ، و آخر لعلاج ذلک و تهیئته و تفریقه، و آخر لتنظیف ما فی الدار من الأقذار و اخراجه منها، فالملک فی هذا هو الخلاق الحکیم ملک العالمین، و الدار هی البدن، و الحشم هم الاعضاء، و القوم [صفحه ۴۷] هم هذه القوی الأربع. و لعلک تری ذکرنا من هذه القوی علی الجهه التی ذکرت فی کتب الاطباء و لا قولنا فیه کقولهم، لأنهم ذکروها علی ما یحتاج الیه فی صناعه الطب و تصحیح الابدان، و ذکرناها علی ما یحتاج فی

صلاح الدين و شفاء النفوس من الغى كالذى أوضحته بالوصف الشافى و المثل المضروب من التدبير و الحكمه فيها.

قوى النفس و موقعها من الانسان

تأمل يا مفضل هذه القوى التى فى النفس، و موقعها من الانسان، أعنى الفكر و الوهم و العقل و الحفظ و غير ذلك، أفرأيت لو نقص الانسان من هذه الخلال الحفظ وحده، كيف كانت تكون حاله، و كم من خلل كان يدخل عليه فى اموره و معاشه و تجاربه، اذا لم يحفظ ما له و ما عليه و ما اخذه و ما اعطى و ما رأى و ما سمع و ما قال و ما قيل له و لم يذكر من احسن اليه ممن أساء به، و ما نفعه مما ضره ثم كان لا يهتدى لطريق لو سلكه ما لا يحصى، و لا يحفظ علما لو درسه عمره و لا يعتقد دينا، و لا ينتفع بتجربه، و لا [صفحه ۴۸] يستطيع أن يعتبر شيئا على ما مضى بل كان حقيقا أن ينسلخ من الانسانيه.

النعمه على الانسان فى الحفظ و النسيان

فانظر الى النعمه على الانسان فى هذه الخلال، و كيف موقع الواحده منها دون الجميع، و اعظم من النعمه على الانسان، فى الحفظ النعمه فى النسيان، فانه لولا النسيان لما سلا أحد عن مصيبه، و لا انقضت له حسره، و لا مات له حقد، و لا استمتع بشى ء من متاع الدنيا مع تذكر الآفات، و لا رجاء غفله من سلطان، و لا فتره من حاسد. أفلا ترى كيف جعل فى الانسان الحفظ و النسيان و هما مختلفان متضادان، و جعل له فى كل منهما ضربا من المصلحه. و ما عسى أن يقول الذين قسموا الأشياء بين خالقين متضادين فى هذه الأشياء المتضاده المتباينه، و قد تراها تجتمع على ما فيه الصلاح و المنفعه. [صفحه ۴۹]

اختصاص الانسان بالحياء دون بقيه الحيوانات

انظر يا مفضل الى ما خص به الانسان دون جميع الحيوان من هذا الخلق، الجليل قدره العظيم غناؤه، اعنى: الحياء. فلولاه لم يقر ضيف و لم يوف بالعداه، و لم تقض الحوائج، و لم يتحر الجميل، و لم يتنكب القبيح فى شى ء من الأشياء، حتى أن كثيرا من الأمور المفترضه أيضا انما يفعل للحياء فان من الناس من لولا الحياء لم يرع حق والديه و لم يصل ذا رحم، و لم يؤد امانه، و لم يعف عن فاحشه... أفلا ترى كيف و فى الانسان جميع الخلال التى فيها صلاحه و تمام أمره.

اختصاص الانسان بالمنطق و الكتابه

تأمل يا مفضل ما أنعم الله - تقدست اسماؤه - به على الانسان، من هذا المنطق الذى يعتبر به عما فى ضميره، و ما يخطر بقلبه، و ينتجه فكره و به يفهم عن غيره ما فى نفسه، و لولا ذلك كان بمنزله البهائم المهمله، التى لا تخبر عن [صفحه ۵۰] نفسها بشى ء، و لا تفهم عن مخبر شيئا، و كذلك الكتابه التى بها تقيد اخبار الماضين للباقين و اخبار الباقين للآتين، و بها تخلد الكتب فى العلوم و الآداب و غيرها، و بها يحفظ الانسان ذكر ما يجرى بينه و بين غيره من المعاملات و الحساب و لولاه لانقطع اخبار بعض الأزمنه عن بعض، و أخبار الغائبين عن أوطانهم، و درست العلوم، و ضاعت الآداب و عظم ما يدخل على الناس من الخلل فى أمورهم و معاملاتهم، و ما يحتاجون الى النظر فيه من امر دينهم، و ما روى لهم، مما لا يسعهم جهله، و لعلك تظن أنها مما يخلص اليه بالحيله و الفطنه، و ليست مما أعطيه الانسان من خلقه

و طباعه. و كذلك الكلام، انما هو شى ء يصطلح عليه الناس، فيجرى بينهم و لهذا صار يختلف فى الأمم المختلفه، و كذلك لكتابه العربى و السريانى و العبرانى و الرومى، و غيرها من سائر الكتابه، التى هى متفرقه فى الأمم انما اصطلحوا عليها، كما اصطلحوا على الكلام، فيقال لمن أدعى ذلك: أن الانسان و ان كان له فى الأمرين جميعا فعل أو حيله، فان الشى ء الذى يبلغ به ذلك الفعل و الحيله، [صفحه ۵۱] عطيه وهبه من الله عزوجل له فى خلقه، فانه لو لم يكن له لسان مهيأ للكلام، و ذهن يهتدى به للأمور، لم يكن ليتكلم ابدا و لو لم تكن له كف مهيئه و اصابع للكتابه، لم يكن ليكتب ابدا. و اعتبر ذلك من البهائم التى لا كلام لها و لا كتابه، فأصل ذلك فطره البارى جل و عز، و ما تفضل به على خلقه، فمن شكر أثيب، و من كفر فان الله غنى عن العالمين.

اعطاء الانسان ما يصلح دينه و دنياه و منعه مما سوى ذلك

فكر يا مفضل فيما اعطى الانسان علمه و ما منع، فانه أعطى جميع علم ما فيه صلاح دينه و دنياه فمما فيه صلاح دينه معرفه الخالق تبارك و تعالى بالدلائل و الشواهد القائمه فى الخلق، و معرفه الواجب عليه، من العدل على الناس كافه. و بر الوالدين، و أداء الأمانه، و مواساه أهل الخله، و اشباه ذلك، مما قد توجد معرفته، و الاقرار، و الاعتراف به [صفحه ۵۲] فى الطبع و الفطره، من كل امه موافقه او مخالفه، و كذلك أعطى علم ما فيه صلاح دنياه، كالزراعه و الغراس، و استخراج الأرضين، و اقتناء الأغنام و الأنعام، و استنباط المياه، و معرفه العقاقير

التی یستشفی بها من ضروب الأسقام، و المعادن التی یستخرج منها أنواع الجواهر، و رکوب السفن، و الغوص فی البحر، و ضروب الحیل فی صید الوحش و الطیر و الحیتان، و التصرف فی الصناعات و وجوه المتاجر و المکاسب، و غیر ذلک مما یطول شرحه و یکثر تعداده، مما فیه صلاح أمره فی هذه الدار. فأعطی علم ما یصلح به دینه و دنیاه، و منع ما سوی ذلک، مما لیس فی شأنه و لا طاقته أن یعلم. کعلم الغیب و ما هو کائن. و بعض ما قد کان أیضا، کعلم ما فوق السماء و ما تحت الأرض. و ما فی لجج البحار و اقطار العالم، و ما فی قلوب الناس و ما فی الأرحام و اشباه هذا مما حجب عن الناس علمه. و قد ادعت طائفه من الناس هذه الأمور، فأبطل دعواهم ما یبین من خطئهم، فیما یقصون علیه و یحکمون به فیما ادعو علیه. [صفحه ۵۳] فانظر کیف اعطی الانسان علم جمیع ما یحتاج الیه لدینه و دنیاه، و حجب عنه ما سوی ذلک، لیعرف قدره و نقصه و کلا الأمرین فیها صلاحه.

ما ستر عن الانسان علمه من مده حیاته

تأمل الآن یا مفضل ما ستر عن الانسان علمه من مده حیاته، فانه لو عرف مقدار عمره - و کان قصیر العمر - لم یتهنأ بالعیش، مع ترقب الموت و توقعه، لوقت قد عرفه، بل کان یکون بمنزله من قد فنی ماله، أو قارب الفناء، فقد استشعر الفقر، و الوجل من فناء ماله و خوف الفقر علی أن الذی یدخل علی الانسان من فناء العمر أعظم مما یدخل علیه من فناء المال، لأن من یقل ماله یأمل أن یستخلف

منه، فيسكن الى ذلك، و من أيقن بفناء العمر استحكم عليه اليأس و ان كان طويل العمر، ثم عرف ذلك، وثق بالبقاء، و انهمك فى اللذات و المعاصى، و عمل على أنه يبلغ من ذلك شهوته، ثم يتوب فى آخر عمره، و هذا مذهب لا يرضاه الله من عباده و لا يقبله، ألا ترى لو أن عبدا لك عمل [صفحه ۵۴] على أنه يسخطك سنه و يرضيك يوما أو شهرا، لم تقبل ذلك منه، و لم يحل عندك محل العبد الصالح دون أن يضمر طاعتك و نصحك فى كل الأمور؟ و فى كل الأوقات، على ترصف الحالات (فان قلت) أو ليس قد يقيم الانسان على المعصيه حينا ثم يتوب فتقبل توبته؟ (قلنا): أن ذلك شى ء يكون من الانسان لغلبه الشهوات له و تركه مخالفتها. من غير أن يقدرها فى نفسه، و يبنى عليه أمره، فيصفح الله عنه، و يتفضل عليه بالمغفره، فاما من قدر أمره على أن يعصى ما بدا له، ثم يتوب آخر ذلك، فانما يحاول خديعه من لا يخادع، بأن يتسلف التلذذ فى العاجل، و يعد و يمنى نفسه التوبه فى الآجل، و لأنه لا يفى بما يعد من ذلك، فان النزوع من الترفه و التلذذ و معاناه التوبه، و لا سيما عند الكبر و ضعف البدن، امر صعب، و لا يؤمن على الانسان، مع مدافعته بالتوبه أن يرهقه الموت، فيخرج من الدنيا غير تائب، كما قد يكون على الواحد دين الى اجل، و قد يقدر على قضائه، فلا يزال يدافع بذلك حتى يحل الأجل، و قد نفذ المال، فيبقى الدين قائما عليه. فكان خير الأشياء للانسان أن يستر عنه مبلغ عمره،

فيكون طول عمره يترقب [صفحه ۵۵] الموت، فيترك المعاصى، و يؤثر العمل الصالح (فأن قلت): و ها هو الآن قد ستر عنه مقدار حياته، و صار يترقب الموت فى كل ساعه يقارف الفواحش و ينتهك المحارم (قلنا): أن وجه التدبير فى هذا الباب، هو الذى جرى عليه الأمر فيه فان كان الانسان مع ذلك لا يرعوى و لا ينصرف عن المساوى، فانما ذلك من مرحه و من قساوه قلبه، لا من خطأ فى التدبير، كما أن الطبيب قد يصف للمريض ما ينتفع به، فان كان المريض مخالفا لقول الطبيب، لا يعمل بما يأمره و لا ينتهى عما ينهاه عنه، لم ينتفع بصفته، و لم تكن الاساءه فى ذلك للطبيب بل للمريض، حيث لم يقبل منه. و لئن كان الانسان مع ترقبه للموت كل ساعه لا يمتنع عن المعاصى، فانه لو وثق بطول البقاء كان احرى بأن يخرج الى الكبائر الفظيعه.... فترقب الموت على كل حال خير له من الثقه بالبقاء ثم أن ترقب الموت و ان كان صنف من الناس يلهون عنه، و لا يتعظون به فقد يتعظ به صنف آخر منهم، و ينزعون عن المعاصى، و يؤثرون العمل الصالح، و يجودون بالأموال و العقائل النفسيه فى الصدقه على الفقراء و المساكين فلم يكن من العدل أن يحرم هؤلاء الانتفاع بهذه [صفحه ۵۶] الخصله لتضييع أولئك حظهم منها.

الأحلام و امتزاج صادقها بكاذبها و سر ذلك

فكر يا مفضل فى الأحلام كيف دبر الأمر فيها فمزج صادقها بكاذبها، فانها لو كانت كلها تصدق لكان الناس كلهم أنبياء، و لو كانت كلها تكذب، لم يكن فيها منفعه، بل كانت فضلا لا معنى له، فصارت تصدق أحيانا، فينتفع بها الناس فى مصلحه

يهتدى لها، أو مضره يتحذر منها، و تكذب كثيرا لئلا يعتمد عليها كل الاعتماد.

الأشياء المخلوقه لمآرب الانسان و ايضاح ذلک

فكر يا مفضل فى هذه الآشياء التى تراها موجوده معده فى العالم من مآربهم، فالتراب للبناء، و الحديد للصناعات، و الخشب للسفن و غيرها و الحجاره للأرحاء و غيرها، و النحاس للأوانى. و الذهب و الفضه للمعامله و الذخيره، و الحبوب للغذاء، و الثمار للتفكه، و اللحم [صفحه ۵۷] للمآكل، و الطيب للتلذذ، و الأدويه للتصحح و الدواب للحموله. و الحطب للتوقد، و الرماد للكلس، و الرمل للأرض، و كم عسى أن يحصى المحصى من هذا و شبهه... أرأيت لو أن داخلا دخل دارا، فنظر الى خزائن مملوءه من كل ما يحتاج اليه الناس، و رأى كل ما فيها مجموعا معدا لأسباب معروفه أكان يتوهم أنمثل هذا يكون بالاهمال، و من غير عمد؟ فكيف يستجيز قائل أن يقول هذا من صنع الطبيعه فى العالم، و ما اعد فيه من هذه الأشياء. اعتبر يا مفضل بأشياء لمآرب الانسان، و ما فيها من التدبير فانه خلق له الحب لطعامه، و كلف طحنه و عجنه و خبزه، و خلق له الوبر لكسوته، فكلف ندفه و غزله و نسجه، و خلق له الشجر، فكلف غرسها وسقيها و القيام عليها، و خلقت له العقاقير لأدويته، فكلف لقطها و خطلها و صنعها، و كذلک تجد سائر الأشياء على هذا المثال. فانظر كيف كفى الخلقه التى لم يكن عنده فيها حيله. و ترک عليه فى كل شى ء من الأشياء موضع عمل و حركه، لما له فى ذلک من الصلاح لأنه لو كفى هذا كله، حتى لا يكون له فى الأشياء موضع شغل و عمل، لما حملته

الأرض [صفحه ۵۸] اشرا و بطرا و لبلغ به ذلک الی أن یتعاطی أمورا فیها تلف نفسه، و لو کفی الناس کل ما یحتاجون الیه لما تهنأوا بالعیش و لا وجدوا له لذه... ألا تری لو أن امرءا نزل بقوم، فأقام حینا بلغ جمیع ما یحتاج الیه من مطعم و مشرب و خدمه، لتبرم بالفراغ و نازعته نفسه الی التشاغل بشی ء، فکیف لو کان طول عمره مکفیا لا یحتاج الی شی ء؟ فکان من صواب التدبیر فی هذه الأشیاء التی خلقت للانسان: أن جعل له فیها موضع شغل: لکیلا تبرمه البطاله، ولتکفه عن تعاطی ما لا یناله، و لا خیر فیه ان ناله.

الخبز و الماء رأس معاش الانسان و حیاته

واعلم یا مفضل ان رأس معاش الانسان و حیاته: الخبز و الماء... فانظر کیف دبر الأمر فیهما، فان حاجه الانسان الی الماء أشد من حاجته الی الخبز، و ذلک ان صبره علی الجوع أکثر من صبره علی العطش، و الذی یحتاج الیه من الماء أکثر مما یحتاج الیه من الخبز، لأنه یحتاج الیه لشربه و وضوئه و غسله و غسل ثیابه و سقی انعامه [صفحه ۵۹] و زرعه فجعل الماء مبذولا لا یشتری لتسقط عن الانسان المؤنه فی طلبه و تکلفه، و جعل الخبز متعذرا لا ینال الا بالحیله و الحرکه، لیکون للانسان فی ذلک شغل یکفه عما یخرجه الیه الفراغ من الأشر و العبث.... ألا ترى أن الصبی یدفع الی المؤدب، و هو طفل لم تکمل ذاته للتعلیم، کل ذلک لیشتغل عن اللعب و العبث اللذین ربما جنیا علیه و علی أهله المکروه العظیم. و هکذا الانسان لو خلا من الشغل، لخرج من الأشر و العبث و البطر، الی

ما يعظم ضرره عليه و على من قرب منه. و اعتبر ذلك بمن نشأ فى الجده و رفاهيه العيش و الترفه و الكفايه، و ما يخرجه ذلك اليه.

اختلاف صور الناس و تشابه الوحوش و الطير و غيرها و الحكمه فى ذلك

اعتبر لم لا يتشابه الناس واحد بالآخر، كما تتشابه الوحوش و الطير و غير ذلك، فانك ترى السرب من الظباء و القطا تتشابه حتى لا يفرق بين واحد منها و بين الأخرى، و ترى الناس مختلفه صورهم و خلقهم، حتى لا يكاد اثنان [صفحه ۶۰] منهم يجتمعان فى صفه واحده. و العله فى ذلك أن الناس محتاجون الى أن يتعارفوا بأعيانهم و حلاهم، لما يجرى بينهم من المعاملات و ليس يجرى بين البهائم مثل ذلك، فيحتاج الى معرفه كل واحد منها بعينه و حليته. ألا ترى أن التشابه فى الطير و الوحش لا يضرها شيئا، ليس كذلك الانسان، فانه ربما تشابه التوأم تشابها شديدا فتعظم المؤنه على الناس فى معاملتهما، حتى يعطى أحدهما بالآخر، و يؤخذ احدهما بذنب الآخر، و قد يحدث مثل هذا فى تشابه الأشياء. فضلا عن تشابه الصور، فمن لطف بعباده بهذه الدقائق التى لا تكاد تخطر بالبال، حتى وقف بها على الصواب، الا من وسعت رحمته كل شى ء. لو رأيت تمثال الانسان مصورا على حائط، و قال لك قائل: ان هذا ظهر هنا من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع!... أكنت تقبل ذلك، بل كنت تستهزى ء به، فكيف تنكر هذا فى تمثال مصور جماد، و لا تنكر فى الانسان الحى الناطق. [صفحه ۶۱]

نمو أبدان الحيوان و توقفها و سبب ذلك

لم صارت أبدان الحيوان - و هى تغتذى أبدا - لا تنمى، بل تنتهى الى غايه من النمو، ثم تقف و لا تتجاوزها، لولا التدبير، فى ذلك، فان تدبير الحكيم فيها أن تكون ابدان كل صنف منها على مقدار معلوم غير متفاوت فى الكبير و الصغير، و صارت تنمى حتى تصل الى غايتها، ثم تقف ثم

لا تزيد، و الغذاء مع ذلک دائم لا ينقطع و لو تنمى نموا دائما لعظمت ابدانها، و اشتبهت مقاديرها حتى لا يكون لشى ء منها حد يعرف.

ما يعتبر أجسام الانس من ثقل الحركه و المشى لو لم يصبها ألم

لم صارت أجسام الانس خاصه تثقل عن الحركه و المشى، و تجفو عن الصناعات اللطيفه، الا لتعظيم المؤنه فيما يحتاج اليه الناس للملبس و المضجع و التكفين و غير ذلک، لو كان الانسان لا يصيبه ألم و لا وجع، بم كان يرتدع [صفحه ۶۲] عن الفواحش، و يتواضع لله، و يتعطف على الناس... أما ترى الانسان اذا عرض له وجع خضع و استكان و رغب الى ربه فى العافيه، و بسط يده بالصدقه، و لو كان لا يألم من الضرب بم كان السلطان يعاقب الدعار - الخبثاء - و يذل العصاه المرده، و بم كان الصبيان يتعلمون العلوم و الصناعات، و بم كان العبيد يذلون لأربابهم، و يذعنون لطاعتهم. أفليس هذا توبيخ (ابن أبى العوجاء) و ذويه الذين جحدوا التدبير. (و المانويه) الذين انكروا الوجع و الألم.

انقراض الحيوان لو لم يلد ذكورا و اناثا

و لو لم يولد من الحيوان الا ذكر فقط أو انثى فقط ألم يكن النسل منقطعا و باد مع أجناس الحيوان، فصار بعض الأولاد يأتى ذكورا و بعضها يأتى اناثا ليدوم التناسل و لا ينقطع. [صفحه ۶۳]

ظهور شعر العانه عند البلوغ و نبات اللحيه للرجل دون المرأه و ما فى ذلک من التدبير

لم صار الرجل و المرأه اذا أدركا تنبت لهما العانه، ثم تنبت اللحيه للرجل، و تتخلف عن المرأه. لولا التدبير فى ذلک، فانه لما جعل الله تبارک و تعالى الرجل قيما و رقيبا على المرأه، و جعل المرأه عرسا و خولا للرجل، اعطى الرجل اللحيه، لما له من العز و الجلاله و الهيبه، و منعها المرأه، لتبقى لها نضاره الوجه و البهجه التى تشاكل المفاكهه و المضاجعه أفلا ترى الخلقه و كيف تأتى بالصواب فى الأشياء، و تتخلل مواضع الخطأ فتعطى و تمنع على قدر الارب و المصلحه بتدبير الحكيم عزوجل. قال المفضل: ثم حان وقت الزوال، فقام مولاى الى الصلاه، و قال: بكر الى غدا انشاء الله تعالى... فانصرفت من عنده مسرورا بما عرفته، مبتهجا بما أوتيته، حامدا الله تعالى عزوجل على ما انعم به على شاكرا لأنعمه على ما منحنى بما عرفنيه مولاى، و تفضل به على، فنمت فى ليلتى [صفحه ۶۴] مسرورا بما منحنيه، محبور بما علمنيه. [صفحه ۶۵]

المجلس ۰۲

اشاره

قال المفضل: فلما كان اليوم الثانى بكرت الى مولاى فاستؤذن لى فدخلت، فأمرنى بالجلوس فجلست فقال: - الحمدلله مدبر الأدوار، و معيد الأكوار، طبقا عن طبق، و عالما بعد عالم، ليجزى الذين أساؤوا بما عملوا، و يجزى الذين أحسنوا بالحسنى، عدلا منه، تقدست أسماؤه، و جلت آلاؤه، لا يظلم الناس شيئا، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، يشهد بذلک قوله جل قدمه «فمن يعمل مثقال ذره خيرا يره - و من يعمل مثقال ذره شرا يره» فى نظائر لها فى كتابه الذى فيه تبيان كل شى ء و لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه (تنزيل من حكيم حميد) و

لذلک قال سیدنا محمد صلوات الله علیه و علی آله: «انما هی أعمالکم ترد الیکم». ثم أطرق الامام هنیئه و قال: یا مفضل الخلق حیاری [صفحه ۶۶] عمهون سکاری فی طغیانهم یترددون، و بشیاطینهم و طواغیتهم یقتدون، بصراء عمی لا یبصرون، نطقاء بکم لا یعقلون، سمعاء صم لا یسمعون، رضوا بالدون، و حسبوا، انهم مهتدون، حادوا عن مدرجه الاکیاس و رتعوا فی مرعی الارجاس الانجاس، کأنهم من مفاجآت الموت آمنون، و عن المجازات مزحزحون، یا ویلهم ما أشقاهم، و أطول عناءهم وشد بلاءهم «یوم لا یغنی مولی عن مولی شیئا و لا هم ینصرون - الا من رحم الله»! قال المفضل: فبکیت لما سمعت منه!... فقال: لا تبک تخلصت اذ قبلت، و نجوت اذ عرفت.

ابنیه أبدان الحیوان و تهیئتها و ایضاح ذلک

ثم قال: ابتدی ء لک بذکر الحیوان لیتضح لک من امره ما وضح لک من غیره. فکر فی أبنیه أبدان الحیوان، و تهیئتها علی ما هی علیه فلا هی صلاب کالحجاره، و لو کانت کذلک لا تنثنی، و لا تتصرف فی الأعمال، و لا هی علی غایه اللین و الرخاوه، فکانت لا تتحامل، و لا تستقل [صفحه ۶۷] بأنفسها، فجعلت من لحم رخو ینثنی، تتداخله عظام صلاب یمسکه عصب و عروق تشده، و تضم بعضه الی بعض، و غلفت فوق ذلک بجلد یشتمل علی البدن کله و اشباه ذلک، هذه التماثیل التی تعمل من العیدان، و تلف بالخرق و تشد بالخیوط، و تطلی فوق ذلک بالصمغ فتکون العیدان بمنزله العظام، و الخرق بمنزله اللحم، و الخیوط بمنزله العصب و العروق، و الطلاء بمنزله الجلد، فان جاز أن یکون الحیوان المتحرک حدث بالاهمال من غیر صانع جاز أن یکون

ذلک فی هذه التماثیل المیته، فان کان هذا غیر جائز فی التماثیل فبالحری أن لا یجوز فی الحیوان.

اجساد الانعام و ما اعطیت و ما منعت و سبب ذلک

و فکر یا مفضل - بعد هذا - فی اجساد الانعام فانها حین خلقت علی ابدان الانس من اللحم و العظم و العصب، اعطیت ایضا السمع و البصر لیبلغ الانسان حاجته، فانها لو کانت عمیا صما لما انتفع بها الانسان و لا تصرفت فی شی ء من مآربه، ثم منعت الذهن و العقل لتذل للانسان، فلا [صفحه ۶۸] تمتنع علیه، اذا کدها الکد الشدید، و حملها الحمل الثقیل. فان قال قائل أنه قد یکون للانسان عبید من الانس، یذلون و یذعنون بالکد الشدید، و هم مع ذلک غیر عدیمی العقل و الذهن. فیقال فی جواب ذلک: ان هذا الصنف من الناس قلیل، فأما أکثر الناس فلا یذعنون بما تذعن به الدواب من الحمل و الطحن و ما أشبه ذلک، و لا یغرون بما یحتاج الیه منه... ثم لو کان الناس یزاولون مثل هذه الأعمال بأبدانهم لشغلوا بذلک عن سائر الأعمال، لأنه کان یحتاج مکان الجمل الواحد و البغل الواحد الی عده أناسی، فکان هذا العمل یستفرغ الناس حتی لا یکون فیهم فضل لشی ء من الصناعات مع ما یلحقه من التعب الفادح فی ابدانهم و الضیق و الکد فی معاشهم.

خلق الأصناف الثلاثه من الحیوان

فکر یا مفضل فی هذه الأصناف الثلاثه من الحیوان و فی خلقها، علی ما هی علیه مما فیه صلاح کل واحد منها. فالانس لما قدروا أن یکونوا ذوی ذهن و فطنه و علاج [صفحه ۶۹] لمثل هذه الصناعات من البناء و التجاره و الصیاغه و الخیاطه، و غیر ذلک خلقت لهم أکف کبار ذوات أصابع غلاظ لیتمکنوا من القبض علی الاشیاء، و اوکدها هذه الصناعات.

آکلات اللحم من الحیوان و التدبیر فی خلقها

و آکلات اللحم لما قدر أن تکون معائشها من الصید، خلقت لهم أکف لطاف مدمجه ذوات براثن و مخالب تصلح لأخذ الصید و لا تصلح للصناعات، و آکلات النبات لما قدر أن یکونوا، لا ذوات صنعه و لا ذات صید خلقت لبعضها أظلاف تقیها خشونه الأرض اذا حاولت طلب المرعی، و لبعضها حوافر ململمه ذوات قعر کأخمص القدم تنطبق علی الأرض عند تهیئها للرکوب و الحموله. تأمل التدبیر فی خلق آکلات اللحم من الحیوان، حین خلقت ذوات أسنان حداد، و براثن شداد، و اشداق و افواه واسعه، فانه لما قدر أن یکون طعمها اللحم خلقت خلقه تشاکل ذلک و أعینت بسلاح، و أدوات تصلح للصید، و کذلک تجد سباع الطیر ذوات مناقیر و مخالب مهیئه [صفحه ۷۰] لفعلها، و لو کانت الوحوش ذوات مخالب کانت قد اعطیت ما لا تحتاج الیه، لأنها لا تصید و لا تأکل اللحم، و لو کانت السباع ذوات اظلاف قد منعت ما تحتاج الیه، اعنی السلاح الذی تصید به و تعیش. أفلا تری کیف اعطی کل واحد من الصنفین ما یشاکل صنفه و طبقته. بل ما فیه بقاؤه و صلاحه.

ذوات الأربع و استقلال اولادها

انظر الآن الی ذوات الاربع کیف تراها تتبع اماتها - جمع أم و تقال للحیوان - مستقله بأنفسها لا تحتاج الی الحمل و التربیه کما تحتاج اولاد الانس، فمن اجل أنه لیس عند اماتها ما عند امهات البشر من الرفق و العلم بالتربیه، و القوه علیها بالأکف و الأصابع المهیأه لذلک أعطیت النهوض و الاستقلال بأنفسها و کذلک تری کثیرا من الطیر کمثل الدجاج و الدراج و القبج، تدرج و

تلقط حين تنقاب عنها البيضه. فأما ما كان

منها ضعيفا لا نهوض فيه، كمثل فراخ الحمام و اليمام و الحمر فقد جعل فى الامهات فضل [صفحه ۷۱] عطف عليها، فصارت تمج الطعام فى افواهها بعد ما توعيه حواصلها فلا تزال تغذوها حتى تستقل بأنفسها، و لذلك لم ترزق الحمام فراخا كثيره مثل ما ترزق الدجاج، لتقوى الأم على تربيه فراخها فلا تفسد و لا تموت فكلا أعطى بقسط من تدبير الحكيم اللطيف الخبير.

قوائم الحيوان و كيفيه حركتها

أنظر الى قوائم الحيوان كيف تأتى ازواجا، لتتهيأ للمشى، و لو كانت أفرادا لم تصلح لذلك، لأن الماشى ينقل قوائمه يعتمد على بعض فذو القائمتين ينقل واحده و يعتمد على واحده، و ذو الأربع ينقل اثنتين و يعتمد على اثنتين و ذلك من خلاف، لأن ذا الأربع لو كان ينقل قائمتين من احد جانبيه، و يعتمد على قائمتين من الجانب الآخر، لم يثبت على الأرض، كما يثبت السرير و ما اشبهه، فصار ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى من مآخيره، و ينقل الأخريين ايضا من خلاف، فيثبت على الأرض، و لا يسقط اذا مشى. [صفحه ۷۲]

انقياد الحيوانات المسخره للانسان و سببه

أما ترى الحمار كيف يذل للطحن و الحموله و هو يرى الفرس مودعا منعما، و البعير لا يطيقه عده رجال لو استعصى كيف كان ينقاد للصبى؟ و الثور الشديد كيف يذعن لصاحبه، حتى يضع النير على عنقه، و يحرث به؟ و الفرس الكريم يركب السيوف و الأسنه بالمواتاه لفارسه و القطيع من الغنم يرعاه واحد، و لو تفرقت الغنم فأخذ كل واحد منها فى ناحيه لم يلحقها. و كذلك جميع الأصناف المسخره للانسان.... كانت كذلك؟ الا بأنها عدمت العقل و الرويه، فانها لو كانت تعقل و تروى فى الأمور كانت خليقه أن تلتوى على الانسان فى كثير من مآربه حتى يمتنع الجمل على قائده و الثور على صاحبه، و تتفرق الغنم عن راعيها و اشباه هذا من الأمور. [صفحه ۷۳]

افتقاد السباع للعقل و الرويه و فائده ذلك

و كذلك هذه السباع لو كانت ذات عقل و رويه فتوازرت على الناس، كانت خليقه أن تجتاحهم، فمن كان يقوم للاسد و الذئاب و النمور و الدببه، لو تعاونت و تظاهرت على الناس؟... أفلا ترى كيف حجر ذلك عليها و صارت مكان ما كان يخاف من أقدامها و نكايتها، تهاب مساكن الناس و تحجم عنها، ثم لا تظهر و لا تنتشر لطلب قوتها الا بالليل، فهى مع صولتها كالخائف من الانس بل مقموعه ممنوعه منهم و لو كان ذلك لساورتهم فى مساكنهم وضيقت عليهم.

عطف الكلب على الانسان و محاماته عنه

ثم جعل الكلب من بين هذه السباع عطف على مالكه و محاماه عنه، و حافظ له، ينتقل على الحيطان و السطوحى فى ظلمه الليل لحراسه منزل صاحبه و ذب الذعار عنه، و يبلغ [صفحه ۷۴] من محبته لصاحبه أن يبذل نفسه للموت دونه و دون ماشيته و ماله و يألفه غايه الالف حتى يصبر معه على الجوع و الجفوه... فلم طبع الكلب على هذه الألفه و المحبه؟ الا ليكون حارسا للانسان له عين بأنياب و مخالب، و نباح هائل، ليذعر منه السارق، و يتجنب المواضع التى يحميها و يخفرها.

وجه الدابه و فمها و ذنبها و شرح ذلك

يا مفضل تأمل وجه الدابه كيف هو...؟ فانک ترى العينين شاخصتين أمامها لتبصر ما بين يديها، لئلا تصدم حائطا، أو تتردى فى حفره و ترى الفم مشقوقا شقا فى اسفل الخطم و لو شق كمكان الفم من الانسان فى مقدم الذقن، لما استطاع أن يتناول به شيئا من الأرض ألا ترى أن الانسان لا يتناول الطعام بفيه و لكن بيده، تكرمه له على سائر الآكلات، فلما لم يكن للدابه يد تتناول بها العلف جعل خرطومها مشقوقا من أسفله، لتقبض على العلف ثم تقضمه، و اعينت بالجحفله لتتناول بها ما قرب و ما بعد... [صفحه ۷۵] اعتبر بذنبها و المنفعه لها فيه، فانه بمنزله الطبق على الدبر و الحياء جميعا، يواريهما و يسترهما، و من منافعها فيه أن ما يبين الدبر و مراقى البطن منها و ضر يجتمع عليها الذباب و البعوض فجعل لها الذنب كالمذبه تذب بها عن تلك المواضع، و منها أن الدابه تستريح الى تحريكه و تصريفه يمنه و يسره، فانه لما كان قيامها على الأربع بأسرها، و شغلت المقدمتان بحمل

البدن عن التصرف و التقلب، كان لها فی تحریک الذنب راحه، و فیه منافع اخری یقصر عنها الوهم، فیعرف موقعها فی وقت الحاجه الیها، فمن ذلک أن الدابه ترتطم فی الوحل، فلا یکون شی ء أعون علی نهوضها، من الأخذ بذنبها، و فی شعر الذنب منافع للناس کثیره یستعملونها فی مآربهم، ثم جعل ظهرها مسطحا مبطوحا علی قوائم اربع لیتمکن من رکوبها، و جعل حیاها بارزا من ورائها لیتمکن الفحل من ضربها، و لو کان اسفل البطن کما کان الفرج من المرأه لم یتمکن الفحل منها.... ألا تری أنه لا یستطیع أن یأتیها کفاحا کما یأتی الرجل المرأه. [صفحه ۷۶]

الفیل و مشفره

تأمل مشفر الفیل و ما فیه من لطیف التدبیر، فانه یقوم مقام الید فی تناول العلف و الماء، و ازدرادهما الی جوفه، و لولا ذلک لما استطاع أن یتناول شیئا من الأرض، لأنه لیست له رقبه یمدها کسائر الانعام، فلما عدم العنق أعین مکان ذلک بالخرطوم الطویل لیسد له، فیتناول به حاجته.... فمن ذا الذی عوضه مکان العضو الذی عدم ما یقوم مقامه الا الرؤوف بخلقه؟ و کیف یکون هذا بالاهمال - کما قالت الظلمه -؟ فان قال قائل: فما باله لم یخلق ذا عنق کسائر الأنعام؟ قیل ان رأس الفیل و أذنیه أمر عظیم، و ثقل ثقیل، فلو کان ذلک علی عنق عظیم، لهدها و أوهنها، فجعل رأسه ملصقا بجسمه لکیلا یناله منه ما وصفناه، و خلق له مکان العنق هذا المشفر لیتناول غذاءه، فصار مع العنق - مستوفیا ما فیه بلوغ حاجته. [صفحه ۷۷]

حیاء الأنثی من الفیله

انظر الآن کیف جعل حیاء الانثی من الفیله فی اسفل بطنها؟ فاذا هاجت للضراب ارتفع و برز، حتی یتمکن الفحل من ضربها... فاعتبر کیف جعل حیاء الانثی من الفیله علی خلاف ما علیه فی غیرها من الانعام ثم جعلت فیه هذه الخله لیتهیأ للأمر الذی فیه قوام النسل و دوامه.

الزرافه و خلقتها و کونها لیست من لقاح أصناف شتی

فکر فی خلق الزرافه، و اختلاف اعضائها، و شبهها باعضاء أصناف من الحیوان. فرأسها رأس فرس، و عنقها عنق جمل، و أظلافها أظلاف بقره، و جلدها جلد نمر. و زعم ناس من الجهال بالله عزوجل: أن نتاجها من فحول شتی، قالوا: و سبب ذلک أن اصنافا من حیوان البر اذا وردت الماء تنزو علی بعض السائمه، و ینتج مثل هذا الشخص الذی هو کالملتقط من اصناف شتی و هذا جهل من [صفحه ۷۸] قائله، و قله معرفه بالباری جل قدسه، و لیس کل صنف من الحیوان یلقح کل صنف، فلا الفرس یلقح الجمل، و لا الجمل یلقح البقر، و انما یکون التلقیح من بعض الحیوان فیما یشاکله و یقرب من خلقه، کما یلقح الفرس الحمار، فیخرج بینهما البغل، و یلقح الذئب الضبع، فیخرج من بینهما السبع. - ولد الذئب من الضبع - علی أنه لیس یکون فی الذی یخرج من بینهما عضو کل واحد منهما، کما فی الزرافه، عضو من الفرس و عضو من الجمل، و اظلاف من البقره، بل یکون کالمتوسط بینهما الممتزج منهما کالذی تراه فی البغل، فانک تری رأسه و أذنیه و کفله - بمجزه - و ذنبه و حوافره وسطا من بین هذه الأعضاء من الفرس و الحمار و شحیجه - صوته - کالممتزج من صهیل الفرس و نهیق

الحمـار، فهـذا دليـل على أنه ليست الزرافه من لقاح أصـناف شتى، كما زعم الجاهلون، بل هى خلق عجيب من خلق الله للـدلاله على قدرته التى لا يعجزها شى ء، و ليعلم أنه خالق أصناف الحيوان كلها، يجمع بين ما يشاء من اعضائها، فى أيها شاء و يفرق ما شاء منها فى ايها شاء، و يزيد فى الخلقه ما شاء. و ينقص منها ما شاء.، دلاله على [صـفحه ٧٩] قدرته على الاشياء، و أنه لا يعجز شى ء أراده جـل و تعـالى... فاما طول عنقها و المنفعه لها فى ذلك فان منشأها و مرعاها فى الغياطل الكثيفه - الأشـجار - ذوات أشجار شاهقه، ذاهبه طولا فى الهواء. فهى تحتاج الى طول العنق لتتناول بفيها أطراف تلك الأشجار فتقوت من ثمارها.

القرد و خلقته و الفرق بينه و بين الانسان

تأمل خلقه القرد و شـبهه بالانسان فى كثير من أعضائه أعنى الرأس و الوجه و المنكبين و الصدر، و كذلك أحشاؤه شبيهه أيضـا بأحشاء الانسان و خص مع ذلك بالذهن و الفطنه التى بها يفهم عن سائسه ما يؤمى ء اليه و يحكى كثيرا مما يرى الانسان يفعله، حتى أنه يقرب من خلق الانسـان و شـمائله فى التـدبير فى خلقته على مـا هى عليه. أن يكون عبره للانسان فى نفسه فيعلم أنه من طينه البهـائم و سـنخها اذ كان يقرب من خلقها هـذا القرب. و أنه لو لا فضـيله فضـله بها فى الـذهن و العقل و النطق كان كبعض البهـائم على أن فى جسم القرد فضولاـ اخرى تفرق بينه و بين الانسـان كالخطم [صـفحه ٨٠] و الذنب المسدل و الشـعر المجلل للجسم كله. و هذا لم يكن مانعا للقرد أن يلحق بالانسان لو اعطى مثل ذهن

الانسان و عقله و نطقه و الفصل الفاصل بينه و بين الانسان - فى الحقيقه - هو النقص فى العقل و الذهن و النطق.

اكساء أجسام الحيوانات و خلقه أقدامها بعكس الانسان و أسباب ذلک

انظر يا مفضل الى لطف الله جل اسمه بالبهائم كيف كسيت أجسامها هذه الكسوه من الشعر و الوبر و الصوف لتقيها من البرد و كثره الآفات ألبست الاظلاف و الحافر و الاخفاف لتقيها من الحفاء اذ كانت لا أيدى لها و لا أكف و لا أصابع مهيأه للغزل و النسج فكفوا بأن جعل كسوتهم فى خلقهم باقيه عليهم ما بقوا لا يحتاجون الى تجديدها و استبدال بها. فأما الانسان فانه ذو حيله و كف مهيأه للعمل. فهو ينسج و يغزل و يتخذ لنفسه الكسوه و يستبدل بها حالا بعد حال. و له فى ذلک صلاح من جهات. و من ذلک أنه يشتغل [صفحه ٨١] بصنعه اللباس عن العبث و ما تخرجه اليه الكفايه. و منها أنه يستريح الى خلع كسوته اذا شاء و لبسها اذا شاء و منها أن يتخذ لنفسه من الكسوه ضروبا لها جمال و روعه فيتلذذ بلبسها و تبديلها و كذلت يتخذ بالرفق من الصنعه ضروبا من الخفاف و النعال يقى بها قدميه. و فى ذلک معائش لمن يعمله من الناس و مكاسب يكون فيها معائشهم و منها أقواتهم و أقوات عيالهم. فصار الشعر و الوبر و الصوف يقوم للبهائم مقام الكسوه و الأظلاف و الحوافر و الاخفاف مقام الحذاء.

مواراه البهائم عند احساسها بالموت

فكر يا مفضل فى خلقه عجيبه جعلت فى البهائم، فانهم يوارون انفسهم اذا ماتوا، كما يوارى الناس موتاهم، و الا فأين جيف هذه الوحوش و السباع و غيرها، لا يرى منها شى ء، و ليست قليله فتخفى لقلتها؟ بل لو قال قائل: أنها أكثر من الناس لصدق. فاعتبر فى ذلک بما تراه فى الصحارى و الجبال من [صفحه ٨٢] اسراب

الظباء و المها و الحمير الوحش و الوعول و الأيائل و غير ذلك من الوحوش و اصناف السباع من الأسد و الضباع و الذئاب و النمور و غيرها، و ضروب الهوام و الحشرات و دواب الأرض، و كذلك اسراب الطير من الغربان و القطا و الاوز و الكراكى و الحمام و سباع الطير جميعا، و كلها لا يرى منها اذا ماتت الا الواحد بعد الواحد يصيده قانص أو يفترسه سبع، فاذا احسوا بالموت كمنوا فى مواضع خفيه فيموتون فيها، و لو لا ذلك لامتلأت الصحارى منها حتى تفسد رائحه الهواء و تحدث الأمراض و الوباء. فانظر الى هذا الذى يخلص اليه الناس، و عملوه بالتمثيل الأول الذى مثل لهم كيف جعل طبعا و اذكارا فى البهائم و غيرها، ليسلم الناس من معره ما يحدث عليهم من الأمراض و الفساد.

الفطن التى جعلت فى البهائم: الايل و الثعلب و الدلفين

فكر يا مفضل فى الفطن التى جعلت فى البهائم لمصلحتها، بالطبع و الخلقه، لطفا من الله عزوجل لهم، [صفحه ۸۳] لئلا يخلو من نعمه الله عزوجل فى واحد من خلقه لا بعقل ورويه، فأن (الأيل) يأكل الحيات فيعطش عطشا شديدا فيمتنع عن شرب الماء، خوفا من أن يدب السم فى جسمه فيقتله، و يقف على الغدير و هو مجهود عطشا، فيعج عجيجا عاليا، و لا يشرب منه، و لو شرب لمات من ساعته. فانظر الى ما جعل من طباع هذه البهيمه، من تحمل الظمأ الغالب الشديد، خوفا من المضره فى الشرب، و ذلك مما لا يكاد الانسان العاقل المميز يضبطه من نفسه. و (الثعلب) اذا اعوزه الطعم، تماوت و نفخ بطنه، حتى يحسبه الطير ميتا، فاذا وقعت عليه لتنهشه، وثب عليها فأخذها. فمن أعان

الثعلب العديم النطق و الرويه بهذه الحيله، الا من توكل بتوجيه الرزق له من هذه و شبهه. فانه لما كان الثعلب يضعف عن كثير مما تقوى عليه السباع من مساوره الصيد، اعين بالدهاء و الفطنه و الاحتيال لمعاشه. و (الدلفين) يلتمس صيد الطير، فيكون حيلته فى ذلك أن يأخذ السمك فيقتله و يسرحه حتى يطفو على الماء ثم يكمن تحته و يثور الماء الذى عليه حتى لا يتبين شخصه، [صفحه ۸۴] فاذا وقع الطير على السمك الطافى و ثب اليها فاصطادها. فانظر الى هذه الحيله كيف جعلت طبعا فى هذه البهيمه لبعض المصلحه.

التنين و السحاب

قال المفضل فقلت: اخبرنى يا مولاى عن التنين و السحاب، فقال عليه السلام: ان السحاب كالموكل به، يختطفه حيثما ثقفه، كما يختطف حجر المغناطيس الحديد، فهو لا يطلع رأسه فى الأرض خوفا من السحاب، و لا يخرج الا فى القيظ مره اذا صحت السماء فلم يكن فيها نكته من غيمه. قلت: فلم و كل السحاب بالتنين يرصده و يختطفه اذا وجده؟ قال: ليدفع عن الناس مضرته. [صفحه ۸۵]

فى الذره و النمل و اسد الذباب و العنكبوت و طبائع كل منهما

قال المفضل فقلت: قد وصفت لى يا مولاى من أمر البهائم ما فيه معتبر لمن اعتبر، فصف لى الذره و النمله و الطير، فقال عليه السلام: يا مفضل تأمل وجه «الذره» الحقيره الصغيره هل تجد فيها نقصا عما فيه صلاحها، فمن أين هذا التقدير و الصواب فى خلق الذره؟ الا من التدبير القائم فى صغير الخلق و كبيره. انظر الى «النمل» و احتشاده فى جمع القوت و اعداده، فانك ترى الجماعه منها اذا نقلت الحب الى زبيتها بمنزله جماعه من الناس ينقلون الطعام أو غيره، بل للنمل فى ذلك من الجد و التشمير ما ليس للناس مثله... أما تراهم يتعاونون على النقل كما يتعاون الناس على العمل، ثم يعمدون الى الحب فيضمونه قطعا. لكيلا ينبت فيفسد عليهم، فان أصابه ندى اخرجوه فنشروه حتى يجف، ثم لا يتخذ النمل الزبيه الا فى نشز - المكان المرتفع - من الأرض [صفحه ۸۶] كيلا يفيض السيل فيغرقها، و كل هذا منه بلا عقل و لا رويه، بل خلقه خلق عليها لمصلحه من الله جل و عز. انظر الى هذا الذى يقال له «الليث» - أحد أنواع العناكب - و تسميه العامه «أسد الذباب» و ما أعطى من الحيله و

الرفق فی معاشه، فانک تراه حین یحس بالـذباب قـد وقع قریبا منه. ترکه ملیا حتی کأنه موات لا حراک به، فاذا رأی الـذباب قد أطمأن و غفل عنه، دب دبیبا دقیقا، حتی یکون منه بحیث تناله و ثبته، ثم یثب علیه فیأخـذه، فاذا أخذه اشـتمل علیه بجسـمه کله، مخـافه أن ینجو منه، فلاـ یزال قبضـا علیه، حتی یحس بأنه قـد ضـعف و استرخی ثم یقبل علیه فیفترسه، و یحیی بـذلک منه. فأما «العنکبوت» فـانه ینسـج ذلک النسـج، فیتخـذه - شـرکا و مصـیده للـذباب، ثم یکمن فی جوفه، فاذا نشب فیه الـذباب أحال علیه یلدغه ساعه بعد ساعه، یعیش بذلک منه. فذلک یحکی صـید الکلاب و الفهود، و هذا یحکی صـید الاشـراک و الحبائل. فانظر الی هذه الدوبیه الضـعیفه، کیف جعل فی طبعها [صـفحه ۸۷] مـا لا یبلغه الانسان الا بالحیله و اسـتعمال الآلات فیها، فلا تزدری بالشـی ء اذا کانت العبره فیه واضـحه کالذره و النمله و ما أشـبه ذلک فأن المعنی النفیس قد یمثل بالشـی ء الحقیر، فلا یضع منه ذلک کما لا یضع من الدینار و هو من ذهب أن یوزن بمثقال من حدید.

جسم الطائر و خلقته

تأمل یا مفضل جسم الطائر و خلقته، فانه حین قـدر أن یکون طائرا فی الجو، خفف جسـمه و أدمج خلقه، و اقتصـر به من القوائم الأربع علی اثنتین، و من الأصابع الخمس علی اربع، و من منفذین المزبل و البول علی واحد یجمعهما، ثم خلق ذا جؤجؤ محدد، لیسـهل علیه أن یخرق الهواء کیف ما أخذ فیه، کما جعلت السـفینه بهذه الهیئه، لتشق الماء و تنفذ فیه، و جعل فی جناحیه و ذنبه ریشات طوال متان، لینهض بها للطیران

و کساه، کله الریش، لیتداخله الهواء فیقله، و لما قدر أن یکون طعمه الحب و اللحم یبلعه بلعا بلا مضغ، نقص من خلقه الانسان و خلق له منقار صلب جاسی یتناول [صفحه ۸۸] به طعمه، فلا ینسحج من لفظ الحب، و لا یتقصف من نهش اللحم، و لما عدم الاسنان، و صار یزدرد الحب صحیحا و اللحم غریضا اعین بفضل حراره فی الجوف تطحن له الطعم طحنا یستغنی به عن المضغ، و اعتبر ذلک بأن عجم العنب - النوی فی داخله - و غیره، یخرج من أجواف الانس صحیحا، و یطحن فی أجواف الطیر لا یری له أثر، ثم جعل مما یبیض بیضا، و لا یلد ولاده، لکیلا یثقل عن الطیران، فانه لو کانت الفراخ فی جوفه تمکث حتی تستحکم، لأثقلته و عاقته عن النهوض و الطیران، فجعل کل شی ء من خلقه مشاکلا للأمر الذی قدر أن یکون علیه ثم صار الطائر السائح فی هذا الجو یقعد علی بیضه فیحضنه اسبوعا و بعضها اسبوعین و بعضها ثلاثه أسابیع، حتی یخرج الفرخ من البیضه، ثم یقبل علیه فیزقه الریح لتتسح حوصلته للغذاء، ثم یربیه و یغذیه بما یعیش به. فمن کلفه أن یلقط الطعم و الحب یستخرجه، بعد أن یستقر فی حوصلته، و یغذو به فراخه...؟ و لأی معنی یحتمل هذه المشقه. و لیس بذی رویه و لا تفکر، و لا یأمل فی فراخه ما یؤمل الانسان فی ولده من العز و الرفد و بقاء الذکر...؟ فهذا من فعله یشهد [صفحه ۸۹] أنه معطوف علی فراخه، لعله لا یعرفها و لا یفکر فیها، و هی دوام النسل و بقاؤه لطفا من الله تعالی ذکره.

الدجاجه و تهيجها لحضن البيض و التفريخ

انظر الى «الدجاجه» كيف تهيج لحضن البيض و التفريخ، و ليس لها بيض مجتمع و لا وكر موطى، بل تنبعث و تنتفخ و تقوى و تمتنع من الطعم، حتى يجمع لها البيض، فتحضنه و تفرخ... فلم كان ذلك منها الا لاقامه النسل؟ و من أخذها باقامه النسل و لا رويه لها و لا تفكير، لو لا أنها مجبوله على ذلك؟

خلق البيضه و التدبير فى ذلك

اعتبر بخلق البيضه، و ما فيها من المح الأصفر الخاثر و الماء الأبيض الرقيق، فبعضه ينشو منه الفرخ، و بعضه ليغتذى به، الى أن تنقاب عنه البيضه، و ما فى ذلك من التدبير، فانه لو كان نشوء الفرخ فى تلك القشره المستحفظه [صفحه ۹۰] التى لا مساغ لشى ء اليها، جعل معه فى جوفها من الغذاء ما يكتفى به الى وقت خروجه منها، كمن يحبس فى حبس حصين لا يوصل الى من فيه، فيجعل معه من القوت ما يكتفى به الى وقت خروجه منه.

حوصله الطائر

فكر يا مفضل فى حوصله الطائر، و ما قدر له، فان مسلك الطعم الى القانصه ضيق، و لا ينفذ فيه الطعام الا قليلا قليلا، فلو كان الطائر لا يلقط حبه ثانيه، حتى تصل الأولى الى القانصه، لطال عليه، و متى كان يستوفى طعمه؟. فانما يختلسه اختلاسا، لشده الحذر، فجعلت له الحوصله كالمخلاه المعلقه أمامه، ليوعى فيها ما ادرك من الطعم بسرعه، ثم تنفذه الى القانصه على مهل، و فى الحوصله ايضا خله اخرى، فان من الطائر ما يحتاج الى أن يزق فراخه فيكون رده للطعم من قرب اسهل عليه. [صفحه ۹۱]

اختلاف ألوان الطير و عله ذلك

قال المفضل فقلت: أن قوما من المعطله يزعمون أن اختلاف الألوان و الأشكال فى الطير انما يكون من قبل امتزاج الاخلاط، و اختلاف مقاديرها المرج و الأهمال. قال: يا مفضل هذا الوشى الذى تراه فى الطواويس و الدراج و التدارج على استواء و مقابله، كنحو ما يخط بالأقلام، كيف يأتى به الامتزاج المهمل على شكل واحد لا يختلف، و لو كان بالاهمال لعدم الاستواء و لكان مختلفا.

ريش الطائر و وصفه

تأمل ريش الطير و كيف هو..؟ فانك تراه منسوجا كنسج الثوب من سلوك دقاق، قد ألف بعضه الى بعض، كتأليف الخيط الى الخيط و الشعره الى الشعره، ثم ترى ذلك النسج اذا مددته ينفتح قليلا و لا ينشق لتداخله الريح، فيقل الطائر اذا طار، و ترى فى وسط الريشه عمودا غليظا [صفحه ۹۲] متينا قد نسج عليه الذى هو مثل الشعر ليمسكه بصلابته، و هو القصبه التى فى وسط الريشه، و هو مع ذلك أجوف، ليخف على الطائر و لا يعوقه عن الطيران.

الطائر الطويل الساقين و التدبير فى ذلك

هل رأيت يا مفضل هذا الطائر الطويل الساقين و عرفت ما له من المنفعه فى طول ساقيه، فانه أكثر ذلك فى ضحضاح من الماء

فتراه بساقين طويلين، كأنه ربيئه فوق مرقب و هو يتأمل ما يدب فى الماء، فاذا رأى شيئا مما يتقوت به، خطا خطوات رقيقه حتى يتناوله، لو كان قصير الساقين و كان يخطو نحو الصيد ليأخذه، يصيب بطنه الماء، فيثور و يذعر منه، فيفرق عنه، فخلق له ذلك العمودان ليدرك بهما حاجته و لا يفسد عليه مطلبه. تأمل ضروب التدبير فى خلق الطائر، فانك تجد كل طائر طويل الساقين طويل العنق، و ذلك ليتمكن من تناول طعمه من الأرض و لو كان طويل الساقين قصير العنق، لما استطاع أن يتناول شيئا من الأرض و ربما أعين مع العنق [صفحه ۹۳] بطول المناقير، ليزداد الأمر عليه سهوله و امكانا أفلا ترى أنك لا تفتش شيئا من الخلقه الا وجدته على غايه الصواب و الحكمه.

العصافير و طلبها للأكل

انظر الى العصافير، كيف تطلب أكلها بالنهار فهى لا تفقده و لا تجده مجموعا معدا، بل تناله بالحركه و الطلب، و كذلك الخلق كله فسبحان من قدر الرزق كيف فرقه. فلم يجعل مما لا يقدر عليه، اذ جعل بالخلق حاجه اليه، و لم يجعله مبذولا ينال بالهوينا اذ كان لا- صلاح فى ذلك فانه لو كان يوجد مجموعا معدا كانت البهائم تنقلب عليه، و لا تنقطع عنه حتى تبشم فتهلك. و كان الناس أيضا يصيرون بالفراغ الى غايه الأشر و البطر حتى يكثر الفساد و تظهر الفواحش. [صفحه ۹۴]

معاش البوم و الهام و الخفاش

أعلمت ما طعم هذه الأصناف من الطير التى لا- تخرج الا- بالليل، كمثل البوم و الهام و الخفاش؟... قلت: لا يا مولاى. قال: ان معاشها من ضروب تنتشر فى الجو من البعوض و الفراش و أشباه الجراد و اليعاسيب. و ذلك أن هذه الضروب مبثوثه فى الجو لا يخلو منها موضع.. و اعتبر ذلك بأنك اذا وضعت سراجا بالليل فى سطح أو عرصه دار، اجتمع عليه من هذه الضروب شى ء كثير... فمن أين يأتى ذلك كله، الا- من القرب؟ فان قال قائل: أنه يأتى من الصحارى و البرارى، قيل له: كيف يوافى تلك الساعه من موضع بعيد، و كيف يبصر من ذلك البعد سراجا فى دار محفوفه بالدور فيقصد اليه، مع أن هذه عيانا تتهافت على السراج من قرب، فيدل ذلك على أنها منتشره فى كل موضع من الجو، فهذه الأصناف، من الطير تلتمسها اذا خرجت فتتقوت بها. [صفحه ۹۵] فانظر كيف وجه الرزق لهذه الطيور التى لا تخرج الا بالليل من هذه الضروب المنتشره فى الجو، و اعرف ذلك المعنى فى خلق

هذه الضروب المنتشره، التى عسى أن يظن ظان انها فضل لا معنى له.

خلقه الخفاش

خلق الخفـاش خلقه عجيبه بين خلقه الطير و ذوات الأربع، هو الى ذوات الأربع أقرب، و ذلك أنه ذو اذنين ناشـزتين و أسـنان و وبر و هو يلد ولادا و يرضع و يبول، و يمشـى اذا مشـى على أربع، و كل هذا خلاف صفه الطير، ثم هو أيضا مما يخرج بالليل، و يتقوت بما يسـرى فى الجو من الفراش و ما اشـبهه، و قـد قال قائلون أنه لا طعم للخفاش و ان غـذاءه من النسـيم وحـده، و ذلك يفسد و يبطل من جهتين: احدهما خروج التفل و البول منه، فان هذا لا يكون من غير طعم، و الأخرى أنه ذو أسـنان، و لو كان لا يطعم شـيئا لم يكن للانسـان فيه معنى، و ليس فى الخلقه شـى ء لا معنى له، و أما المآرب فيه فمعروفه، حتى أن زبله يـدخل فى بعض [صفحه ۹۶] الأعمـال، و من أعظم الارب فيه خلقته العجيبه الـداله على قـدره الخالق جل ثناؤه، و تصـرفها فيما شاء كيف شاء لضرب من المصلحه.

حيله الطائر أبونمره بالحسكه و منفعتها

فأما الطائر الصـغير الـذى يقال له (ابن نمره) فقـد عشـش فى بعض الأوقات فى بعض الشـجر، فنظر الى حيه عظيمه قد اقبلت نحو عشه فاغره فاها، تبغيه لتبتلعه، فبينما هو يتقلب و يضطرب فى طلب حيله منها اذ وجد حسكه، فحملها فألقاها فى فم الحيه فلم تزل الحيه تلتوى و تتقلب حتى ماتت. أفرأيت لو لم اخبرك بذلك، كان يخطر ببالك او ببال غيرك أنه يكون من حسـكه مثل هذه المنفعه، أو يكون من طائر صغير أو كبير مثل هذه الحيله.. اعتبر بهذا و كثير من الأشياء يكون فيها منافع لا تعرف بحادث يحدث أو خبر يسمع

به. [صفحه ۹۷]

النحل: عسله و بيوته

انظر الى النحل و احتشاده فى صنعه العسل، و تهيئه البيوت المسدسه و ما ترى فى ذلك من دقائق، فانك اذا تأملت العمل رأيته عجيبا لطيفا، و اذا رأيت المعمول وجدته عظيما شريفا موقعه من الناس، و اذا رجعت الى الفاعل ألفيته غبيا جاهلا بنفسه فضلا عما سوى ذلك، ففى هذه أوضح الدلاله على أن الصواب و الحكمه فى هذه الصنعه ليس للنحل بل هى للذى طبعه عليها، و سخره فيها لمصلحه الناس.

الجراد و بلاؤه

انظر الى هذا الجراد ما أضعفه و أقواه!.. فانك اذا تأملت خلقه رأيته كأضعف الاشياء و ان دلفت عساكره نحو بلد من بلدان لم يستطع أحد أن يحميه منه.. ألا ترى أن ملكا من ملوك الأرض لو جمع خيله و رجله ليحمى بلاده [صفحه ۹۸] من الجراد لم يقدر على ذلك. أفليس من الدلائل على قدره الخالق أن يبعث أضعف خلقه الى أقوى خلقه، فلا يستطيع دفعه.

كثره الجراد

انظر اليه كيف ينساب على وجه الأرض مثل السيل، فيغشى السهل و الجبل و البدو و الحضر، حتى يستر نور الشمس بكثرته، فلو كان هذا مما يصنع بالأيدى، متى كان تجتمع منه هذه الكثره؟ و فى كم سنه كان يرتفع فاستدل بذلك على القدره التى لا يؤدها شى ء، و لا يكثر عليها.

وصف السمك

تأمل خلق السمك و مشاكلته للأمر الذى قدر أن يكون عليه، فانه خلق غير ذى قوائم، لأنه لا يحتاج الى المشى، اذ كان مسكنه الماء و خلق غير ذى ريه، لأنه لا يستطيع أن يتنفس و هو منغمس فى اللجه، و جعلت له مكان القوائم [صفحه ۹۹] اجنحه شداد يضرب بها فى جانبيه، كما يضرب الملاح بالمجاذيف من جانبى السفينه، و كسا جسمه قشورا متانا متداخله كتداخل الدروع و الجواشن لتقيه من الآفات، فأعين بفضل حس فى الشم، لأن بصره ضعيف، و الماء يحجبه، فصار يشم الطعم من البعد البعيد، فينتجعه فيتبعه، و الا فكيف يعلم به و بموضعه؟ و اعلم أن من فيه الى صماخه منافذ، فهو يعب الماء بفيه، و يرسله من صماخيه فيتروح الى ذلك، كما يتروح غيره من الحيوان الى تنسم هذا النسيم.

كثره نسل السمك و عله ذلك

فكر الآن فى كثره نسله و ما خص به من ذلك، فانك ترى فى جوف السمكه الواحده من البيض ما لا يحصى كثره، و العله فى ذلك أن يتسع لما يغتذى به من اصناف الحيوان، فان أكثرها يأكل السمك، حتى أن السباع أيضا فى حافات الآجام عاكفه على الماء أيضا كى ترصد السمك، فاذا مر بها خطفته، فلما كانت السباع تأكل السمك، و الطير [صفحه ۱۰۰] يأكل السمك، و الناس يأكلون السمك، و السمك يأكل السمك كان من التدبير فيه أن يكون على ما هو عليه من الكثره.

سعه حکمه الخالق و قصر علم المخلوقین

فاذا أردت أن تعرف سعه حکمه الخالق، و قصر علم المخلوقین، فانظر الی ما فی البحار من ضروب السمک و دواب الماء و الأصداف و الأصناف التی لا تحصی، و لا تعرف منافعها الا الشی ء بعد الشی ء یدرکه الناس بأسباب تحدث، مثل القرمز فانه لما عرف الناس صبغه، بأن کلبه تجول علی شاطی البحر فوجدت شیئا من الصنف الذی یسمی الحلزون، فأکلته فاختضب خطمها بدمه فنظر الناس الی حسنه فاتخذوه صبغا، و أشباه هذا مما یقف الناس علیه حالا بعد حال و زمانا بعد زمان. قال المفضل: و حان وقت الزوال، فقام مولای علیه السلام الی الصلاه و قال: بکر الی غدا انشاء الله تعالی.. فانصرفت و قد تضاعفت سروری بما عرفنیه، [صفحه ۱۰۱] مبتهجا بما منحنیه، حامدا لله علی ما آتانیه، فبت لیلتی مسرورا مبتهجا. [صفحه ۱۰۳]

المجلس ۰۳

اشاره

فلما کان الیوم الثالث بکرت الی مولای فاستؤذن لی فدخلت فأذن لی بالجلوس فجلست، فقال علیه السلام: - الحمد لله الذی اصطفانا و لم یصطف علینا، اصطفانا بعلمه، و أیدنا بحلمه من شذ عنا فالنار مأواه، و من تفیأ بظل دوحتنا فالجنه مثواه... قد شرحت لک یا مفضل خلق الانسان، و ما دبر به، و تنقله فی احواله، و ما فیه من الاعتبار، و شرحت لک امر الحیوان... و انا ابتدی ء الآن بذکر السماء و الشمس و القمر و النجوم و الفلک و اللیل و النهار و الحر و البرد و الریاح و الجواهر الأربعه الأرض و الماء و الهواء و النار و المطر و الصخر و الجبال و الطین و الحجاره و النخل و الشجر و ما فی ذلک من الأدله و العبر. [صفحه

لون السماء و ما فيه من صواب التدبير

فكر فى لون السماء و ما فيه من صواب التدبير، فان هذا اللون أشد الألوان موافقه و تقويه للبصر، حتى أن من صفات الأطباء لمن أصابه شى ء أضر ببصره ادمان النظر الى الخضره و ما قرب منها الى السواد و قد وصف الحذاق منهم لمن كل بصره الاطلاع فى اجانه خضراء مملوءه ماء، فانظر كيف جعل الله جل و تعالى أديم السماء بهذا اللون الأخضر الى السواد ليمسك الأبصار المتقلبه عليه، فلا ينكأ فيها بطول مباشرتها له فصار هذا الذى أدركه الناس بالفكر و الرويه و التجارب، يوجد مفروغا منه فى الخلقه حكمه، بالغه ليعتبر بها المعتبرون، و يفكر فيها الملحدون، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

طلوع الشمس و غروبها و المنافع فى ذلک

فكر يا مفضل فى طلوع الشمس و غروبها، لاقامه دولتى النهار و الليل، فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كله، فلم يكن الناس يسعون فى معائشهم، و يتصرفون فى [صفحه ۱۰۵] امورهم، و الدنيا مظلمه عليهم، و لم يكونوا يتهنون بالعيش مع فقدهم لذه النور و روحه.. و الأرب فى طلوعها ظاهر مستغنى بظهوره عن الاطناب فى ذكره، و الزياده فى شرحه... بل تأمل المنفعه فى غروبها، فلو لا غروبها لم يكن للناس هدوء و لا قرار مع عظم حاجتهم الى الهدوء و الراحه لسكون ابدانهم و جموم حواسهم و انبعاث القوه الهاضمه لهضم الطعام، و تنفيذ الغذاء الى الأعضاء، ثم كان الحرص يستحملهم من مداومه العمل، و مطاولته على ما يعظم نكايته فى ابدانهم، فان كثيرا من الناس لولا جثوم هذا الليل بظلمته عليهم، لم يكن لهم هدوء و لا قرار، حرصا على الكسب و الجمع و الادخار، ثم كانت الأرض تستحمى بدوام الشمس بضيائها، و يحمى كل

ما علیها من حیوان و نبات، فقدرها الله بحکمته و تدبیره، تطلع وقتا و تغرب وقتا، بمنزله سراج یرفع لأهل البیت تاره لیقضوا حوائجهم ثم یغیب عنهم مثل ذلک لیهدؤا و یقروا، فصار النور و الظلمه، مع تضادهما منقادین متظاهرین علی ما فیه صلاح العالم و قوامه. [صفحه ۱۰۶]

التدبیر و المصلحه فی الفصول الأربعه من السنه

ثم فکر بعد هذا فی ارتفاع الشمس و انحطاطها لاقامه هذه الأزمنه الأربعه من السنه و ما فی ذلک من التدبیر و المصلحه، ففی الشتاء تعود الحراره فی الشجر و النبات، فیتولد فیهما مواد الثمار، و یتکثف الهواء فینشأ منه السحاب و المطر، و تشتد أبدان الحیوان و تقوی، و فی الربیع تتحرک و تظهر المواد المتولده فی الشتاء، فیطلع النبات، و تنور الأشجار و یهیج الحیوان للسفاد، و فی الصیف یحتدم الهواء فتنضج الثمار، و تتحلل فضول الابدان، و یجف وجه الأرض، فتهیأ للبناء و الأعمال، و فی الخریف یصفو الهواء، و ترتفع الأمراض، و تصح الأبدان، و یمتد اللیل فیمکن فیه بعض الأعمال لطوله، و یطیب الهواء فیه الی مصالح اخری لو تقصیت لذکرها لطال فیها الکلام. [صفحه ۱۰۷]

معرفه الأزمنه و الفصول الأربعه عن طریق حرکه الشمس

فکر الآن فی تنقل الشمس فی البروج الاثنی عشر لاقامه دور السنه و ما فی ذلک من التدبیر. فهو الدور الذی تصح به الأزمنه الأربعه من السنه «الشتاء و الربیع و الصیف و الخریف» تستوفیها علی التمام، و فی هذا المقدار من دوران الشمس تدرک الغلات و الثمار، و تنتهی الی غایاتهم ثم تعود فیستأنف النشور و النمو... ألا تری أن السنه مقدار مسیر الشمس من الحمل الی الحمل. فبالسنه و اخواتها یکال الزمان من لدن خلق الله تعالی العالم، الی کل وقت و عصر من غابر الأیام، و بها یحسب الناس الأعمار و الأوقات المؤقته للدیون و الاجازات و المعاملات، و غیر ذلک من امورهم، و بمسیر الشمس تکمل السنه، و یقوم حساب الزمان علی الصحه. انظر الی شروقها علی العالم کیف دبر أن یکون؟ فانها لو کانت تبزغ فی موضع

من السماء فتقف لا تعدوه لما [صفحه ۱۰۸] وصل شعاعها و منفعتها الى كثير من الجهات، لأن الجبال و الجدران كانت تحجبها عنها، فجعلت تطلع اول النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من وجه المغرب، ثم لا تزال تدور و تغشى جهه بعد جهه، حتى تنتهى الى المغرب، فتشرق على ما استتر عنها فى أول النهار، فلا يبقى موضع من المواضع الا أخذ بقسطه من المنفعه منها، و الأرب التى قدرت له. و لو تخلفت مقدار عام أو بعض عام كيف كان يكون حالهم؟ بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء؟ أفلا ترى كيف كان يكون للناس هذه الأمور الجليله التى لم يكن عندهم فيها حيله، فصارت تجرى على مجاريها لا تفتل و لا تتخلف عن مواقيتها لصلاح العالم و ما فيه بقاؤه.

الاستدلال بالقمر فى معرفه الشهور

استدل بالقمر ففيه دلاله جليله تستعملها العامه فى معرفه الشهور، و لا يقوم عليه حساب السنه. لأن دوره لا يستوفى الأزمنه الأربعه و نشوء الثمار و تصرمها، و لذلك صارت شهور القمر و سنوه تتخلف عن شهور الشمس [صفحه ۱۰۹] وسنيها، و صار الشهر من شهور القمر ينتقل، فيكون مره بالشتاء و مره بالصيف.

ضوء القمر و ما فيه من المنافع

فكر فى انارته فى ظلمه الليل و الارب فى ذلك فانه مع الحاجه الى الظلمه لهدوء الحيوان و برد الهواء على النبات لم يكن صلاح فى أن يكون الليل ظلمه داجيه لا ضياء فيها، فلا يمكن فيه شى ء من العمل، لأنه ربما احتاج الناس الى العمل بالليل، لضيق الوقت عليهم فى بعض الأعمال فى النهار، و لشده الحر و افراطه، فيعمل فى ضوء القمر اعمالا شتى، كحرث الأرض، و ضرب اللبن، و قطع الخشب، و ما أشبه ذلك، فجعل ضوء القمر معونه للناس على معائشهم اذا احتاجوا الى ذلك، وانسا للسائرين و جعل طلوعه فى بعض الليل دون بعض. و نقص مع ذلك عن نور الشمس و ضيائها، لكيلا ينبسط الناس فى العمل انبساطهم بالنهار، و يمتنعوا من الهدوء و القرار، فيهلكهم ذلك، و فى تصرف القمر خاصه فى مهله و محاقه و زيادته و نقصانه [صفحه ۱۱۰] و كسوفه، من التنبيه على قدره الله تعالى خالقه المصرف له هذا التصريف لصلاح العالم ما يعتبر به المعتبرون.

النجوم و اختلاف مسيرها و السبب فى أن بعضها راتبه و الأخرى متنقله

فكر يا مفضل فى النجوم و اختلاف مسيرها، فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك و لا تسير الا مجتمعه، و بعضها مطلقه تنتقل فى البروج و تفترق فى مسيرها، فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين، احدهما عام مع الفلك نحو المغرب، و الآخر خاص لنفسه نحو المشرق كالنمله التى تدور على الرحى، فالرحى تدور ذات اليمين، و النمله تدور ذات الشمال و النمله فى ذلك تتحرك حركتين مختلفتين: احداهما بنفسها فتتوجه أمامها، و الأخرى مستكرهه مع الرحى تجذبها الى خلفها... فاسأل الزاعمين أن النجوم صارت على ما هى عليه بالاهمال، من غير عمد و لا صانع

لهـا مـا منعهـا أن تكون كلها راتبه أو تكون كلها منتقله، فان الأهمال معنى واحـد فكيف صار يأتى بحركتين مختلفتين [صـفحه ۱۱۱] على وزن و تقـدير؟ ففى هـذا بيان أن مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعمـد و تـدبير و حكمه و تقدير، و ليس باهمال كمـا يزعم المعطله، فـان قـال قائـل: و لم صار بعض النجوم راتبه و بعضـها متنقله؟ قلنا: انها لو كانت كلها راتبه لبطلت الـدلالات التى يستدل بهـا من تنقـل المنتقله، و مسيرها فى كل برج من البروج، كما يستدل بها على أشياء مما يحـدث فى العالم، ينتقل الشـمس و النجوم فى منازلها، و لو كانت كلها منتقله، لم يكن لمسيرها منازل تعرف، و لا رسم يوقف عليه، لأنه انما يوقف عليه بمسير المنتقله منها ينتقلها فى البروج الراتبه كما يستدل على سير السائر على الأرض بالمنازل التى يجتاز عليها او لو كان تنقلها بحـال واحـد لاختلاـط نظامها، و بطلت المآرب فيها، و لساغ القائل أن يقول أن كينونتها على حال واحـده توجب عليها الاهمال من الجهه التى وصـفنا، ففى اختلاف سيرها و تصـرفها فى ذلك من المآرب و المصـلحه، أبين دليل على العمـد و التدبير فيها. [صفحه ۱۱۲]

فوائد بعض النجوم

فكر فى هذه النجوم التى تظهر فى بعض السـنه و تحتجب فى بعضـها كمثل الثريا و الجوزاء و الشـعريين و سـهيل، فانها لو كانت بأسـرها تظهر فى وقت واحـد لم يكن لواحـد فيها على حاله دلالات يعرفها الناس، و يهتـدون بها لبعض امورهم، كمعرفتهم الآن بمـا يكون من طلوع الثور و الجوزاء اذا طلعت، و احتجابها اذا احتجبت، فصار ظهور واحـد و احتجابه فى وقت غير الوقت الآخر، لينتفع

الناس بما يدل عليه كل واحد منها على حدته، و ما جعلت الثريا و اشباهها تظهر حينا و تحتجب حينا الا لضرب من المصلحه و كذلك جعلت بنات نعش ظاهره لا تغيب لضرب آخر من المصلحه، فانها بمنزله الاعلام التى يهتدى بها الناس فى البر و البحر للطرق المجهوله، و كذلك أنها لا تغيب و لا تتوارى فهم ينظرون اليها متى أرادوا أن يهتدوا بها الى حيث شاؤوا، و صار الأمران جميعا على اختلافهما موجهين نحو الأرب و المصلحه، و فيهما مآرب اخرى علامات و دلالات على اوقات كثيره من الأعمال، كالزراعه و الغراس و السفر فى البر و البحر، و أشياء مما يحدث فى الأزمنه من الأمطار [صفحه ۱۱۳] و الرياح و الحر و البرد، و بها يهتدى السائرون فى ظلمه الليل، لقطع القفار الموحشه و اللجج الهائله، مع ما فى ترددها فى كبد السماء مقبله و مدبره و مشرقه و مغربه من العبر، فانها تسير أسرع السير و أحثه. أرأيت لو كانت الشمس و القمر و النجوم بالقرب منا، حتى يتبين لنا سرعه سيرها بكنه ما هى عليه، ألم تكن تستخطف الأبصار بوهجها و شعاعها كالذى يحدث أحيانا من البروق اذا توالت و اضطرمت فى الجو؟ و كذلك أيضا لو أن أناسا كانوا فى قبه مكلله بمصابيح تدور حولهم دورانا حثيثا لحارت أبصارهم حتى يخروا لوجوههم. فانظر كيف قدر أن يكون مسيرها فى البعد البعيد، لكيلا تضر فى الأبصار، و تنكأ فيها، و بأسرع السرعه. لكيلا تتخلف عن مقدار الحاجه فى مسيرها، و جعل فيها جزءا يسيرا من الضوء، ليسد مسد الاضواء اذا لم يكن قمر، و يمكن فيه الحركه اذا حدثت

ضروره، كما قد يحدث الحادث على المرء فيحتاج الى التجافى فى جوف الليل، فان لم يكن شى ء من الضوء يهتدى به لم يستطع أن يبرح مكانه. [صفحه ۱۱۴] فتأمل اللطف و الحكمه فى هذا التقدير، حين يجعل للظلمه دوله و مده لحاجه اليها، و جعل خلالها شى ء من الضوء للمآرب التى وصفنا.

الشمس و القمر و النجوم و البروج تدل على الخالق

فكر فى هذا الفلك بشمسه و قمره و نجومه و بروجه تدور على العالم هذا الدوران الدائم، بهذا التقدير و الوزن لما فى اختلاف الليل و النهار و هذه الأزمان الأربعه المتواليه من التنبيه على الأرض و ما عليها من أصناف الحيوان و النبات من ضروب المصلحه، كالذى بينت و شخصت لك آنفا و هل يخفى على ذى لب أن هذا تقدير مقدر و صواب و حكمه من مقدر حكيم، فان قال قائل: ان هذا شى ء اتفق أن يكون هكذا؟ فما منعه أن يقول مثل هذا فى دولاب يراه يدور و يسقى حديقه فيها شجر و نبات فيرى كل شى ء من آلاته مقدرا بعضه يلقى بعضا على ما فيه صلاح تلك الحديقه و ما فيها. و بم كان يثبت هذا القول لو قاله و ما ترى الناس كانوا قائلين له لو سمعوه منه؟ أفينكر أن يقول فى دولاب [صفحه ۱۱۵] خشب مصنوع بحيله قصيره لمصلحه قطعه من الأرض، أنه كان بلا صانع و مقدر، و يقدر أن يقول فى هذا الدولاب الأعظم، المخلوق بحكمه تقصر عنها أذهان البشر، لصلاح جميع الأرض و ما عليها أنه شى ء اتفق أن يكون بلا صنعه و لا تقدير لو اعتل هذا الفلك، كما تعتل الآلات التى تتخذ للصناعات و غيرها، أى شى ء كان عند

الناس من الحيله فی أصلاحه.

مقادیر اللیل و النهار

فکر یا مفضل فی مقادیر النهار و اللیل، کیف وقعت علی ما فیه صلاح هذا الخلق، فصار منتهی کل واحد منهما - اذ امتد - الی خمس عشره ساعه لا یجاوز ذلک أفرأیت لو کان النهار یکون مقداره مائه ساعه أو مائتی ساعه؟ ألم یکن فی ذلک بوار کل ما فی الأرض من حیوان و نبات؟ أما الحیوان فکان لا یهدأ و لا یقر طول هذه المده، و لا البهائم کانت تمسک عن الرعی لو دام لها ضوء النهار، و لا الانسان کان یفتر عن العمل و الحرکه، و کان ذلک ینهکها اجمع [صفحه ۱۱۶] و یؤدیها الی التلف، و أما النبات فکان یطول علیه حر النهار و وهج الشمس حتی یجف و یحترق کذلک اللیل لو امتد مقدار هذه المده کان یعوق أصناف الحیوان عن الحرکه و التصرف فی طلب المعاش، حتی تموت جوعا، و تخمد الحراره الطبیعیه عن النبات، حتی یعفن و یفسد، کالذی تراه یحدث علی النبات اذا کان فی موضع لا تطلع علیه الشمس.

الحر و البرد و فوائدهما

اعتبر بهذا الحر و البرد کیف یتعاوران [۱] العالم، و یتصرفان هذا التصرف فی الزیاده و النقصان و الاعتدال، لاقامه هذه الأزمنه الأربعه من السنه و ما فیهما من المصالح، ثم هما بعد دباغ الابدان التی علیها بقاؤها و فیهما صلاحها، فانه لولا الحر و البرد و تداولهما الأبدان لفسدت و اخوت [۲] و انتکثت. فکر فی دخول احدهما علی الآخر بهذا التدریج [صفحه ۱۱۷] و الترسل، فانک تری أحدهما ینقص شیئا بعد شی ء، و الآخر یزید مثل ذلک، حتی ینتهی کل واحد منهما منتهاه فی الزیاده و النقصان، و لو کان دخول احدهما

على الآخر مفاجأه، لأضر ذلك بالابدان و اسقمها. كما أن احدكم لو خرج من حمام حار الى موضع البروده، لضره ذلك و أسقم بدنه فلم يجعل الله عزوجل هذا الترسل فى الحر و البرد، الا للسلامه من ضرر المفاجأه و لم جرى الأمر على ما فيه السلامه من ضرر المفاجأه لولا التدبير فى ذلك؟ فان زعم زاعم: أن هذا الترسل فى دخول الحر و البرد انما يكون لابطاء مسير الشمس فى ارتفاعها و انحطاطها، فان اعتل فى الابطاء ببعد ما بين المشرقين سئل عن العله فى ذلك، فلا تزال هذه المسأله ترقى معه الى حيث رقى من هذا القول، حتى استقر عن العمد و التدبير... لولا الحر لما كانت الثمار الجاسيه [۳] المره تنضج فتلين و تعذب، حتى يتفكه بها رطبه و يابسه... و لولا البرد لما كان الزرع يفرخ هكذا، و يريع الريع الكثير الذى يتسع للقوت، و ما يرد فى الأرض للبذر... افلا ترى ما فى الحر و البرد، من عظيم الغناء و المنفعه، وكلاهما مع [صفحه ۱۱۸] غنائه و المنفعه فيه يؤلم الأبدان و يمضها [۴] و فى ذلك عبره لمن فكر، و دلاله على أنه من تدبير الحكيم، فى مصلحه العالم و ما فيه.

الريح و ما فيها

و أنبهك يا مفضل على الريح و ما فيها، ألست ترى ركودها اذا ركدت كيف يحدث الكرب، الذى يكاد أن يأتى على النفوس، و يمرض الاصحاء، وينهك المرضى، و يفسد الثمار، و يعفن البقول، و يعقب الوباء فى الابدان، و الآفه فى الغلات. ففى هذا بيان: ان هبوب الريح من تدبير الحكيم فى صلاح الخلق.

الهواء و الاصوات

و انبئك عن الهواء بخله أخرى، فان الصوت أثر يؤثره اصطكاك الاجسام فى الهواء، و الهواء يؤديه الى المسامع و الناس يتكلمون فى حوائجهم و معاملاتهم طول نهارهم و بعض ليلهم، فلو كان اثر هذا الكلام يبقى فى الهواء، كما [صفحه ۱۱۹] يبقى الكتاب فى القرطاس، لامتلأ العالم منه، فكان يكربهم و يفدحهم، و كانوا يحتاجون فى تجديده و الاستبدال به، الى أكثر مما يحتاج اليه فى تجديد القراطيس، لأن ما يلفظ من الكلام اكثر مما يكتب، فجعل الخلاق الحكيم جل قدسه هذا الهواء قرطاسا خفيا يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجاتهم، ثم يحمى فيعود جديدا نقيا، و يحمل ما حمل أبدا بلا انقطاع، و حسبك بهذا النسيم المسمى هواء عبره، و ما فيه من المصالح، فانه حياه هذه الأبدان، و الممسك لها من داخل، بما يستنشق منه من خارج بما يباشر من روحه، و فيه تطرد هذه الأصوات فيؤدى البعد البعيد... و هو الحامل لهذه الأرواح ينقلها من موضع الى موضع... ألا ترى كيف تأتيك الرائحه من حيث تهب الريح، فكذلك الصوت، و هو القابل لهذا الحر و البرد، اللذين يتعاقبان على العالم لصلاحه، و منه هذه الريح فالريح تروح عن الاجسام و تزجى السحاب من موضع الى موضع، ليعم نفعه، حتى يستكثف فيمطر، و تفضه حتى

يستخف فيتفشى و تلقح الشجر، و تسير السفن، و ترخى الاطعمه، و تبرد الماء، و تشب النار، و تجفف الأشياء النديه، و بالجمله انها تحيى كل ما فى [صفحه ۱۲۰] الأرض... فلولا الريح لذوى النبات، و لمات الحيوان، و حمت الأشياء و فسدت.

هيئه الأرض

فكر يا مفضل فيما خلق الله عزوجل عليه هذه الجواهر الأربعه ليتسع ما يحتاج اليه منها... فمن ذلك سعه هذه الأرض و امتدادها، فلولا ذلك كيف كانت تتسع لمساكن الناس و مزارعهم و مراعيهم و منابت اخشابهم و أحطابهم و العقاقير العظيمه و المعادن الجسيم غناؤها. و لعل من ينكر هذه الفلوات الخاويه و القفار الموحشه. فيقول: ما المنفعه فيها؟ فهى مأوى هذه الوحوش و محالها و مراعيها، ثم فيها بعد تنفس، و مضطرب للناس اذا احتاجوا الى الاستبدال بأوطانهم، فكم بيداء و كم فدفد حالت قصورا وجنانا، بانتقال الناس اليها و حلولهم فيها، و لولا سعه الأرض و فسحتها لكان الناس كمن هو فى حصار ضيق لا يجد مندوحه عن وطنه اذا أحزنه أمر يضطره الى الانتقال عنه. [صفحه ۱۲۱] ثم فكر فى خلق هذه الأرض على ما هى عليه حين خلقت راتبه راكنه، فتكون موطنا مستقرا للأشياء، فيتمكن الناس من السعى عليها فى مآربهم، و الجلوس عليها لراحتهم، و النوم لهدوئهم، و الاتقان لأعمالهم فانها لو كانت رجراجه منكفئه، لم يكونوا يستطيعون أن يتقنوا البناء و النجاره و الصناعه و ما أشبه ذلك، بل كانوا لا يتهنون بالعيش و الأرض ترتج من تحتهم، و اعتبر ذلك بما يصيب الناس حين الزلازل - على قله مكثها - حتى يصبروا الى ترك منازلهم، و الهرب عنها... فان قال قائل:

فلم صارت هذه الأرض تزلزل؟ قيل له: ان الزلزله و ما أشبهها موعظه و ترهيب يرهب لها الناس ليرعووا، و ينتزعوا عن المعاصى، و كذلك ما ينزل بهم من البلاء فى ابدانهم و أموالهم، يجرى فى التدبير على ما فيه صلاحهم و استقامتهم، و يدخر لهم ان صلحوا من الثواب و العوض فى الآخره ما لا يعد له شى ء من أمور الدنيا، و ربما عجل ذلك فى الدنيا اذا كان ذلك فى الدنيا صلاحا للعامه و الخاصه... ثم ان الأرض فى طباعها الذى طبعها الله عليه بارده يابسه، و كذلك الحجاره، و انما الفرق بينها و بين الحجاره فضل يبس فى الحجاره، أفرأيت [صفحه ۱۲۲] لو أن اليبس أفرط على الأرض قليلا، حتى تكون حجرا صلدا، أكانت تنبت هذا النبات الذى به حياه الحيوان، و كان يمكن بها حرث أو بناء؟؟ أفلا ترى كيف نقصت من يبس الحجاره و جعلت على ما هى عليه من اللين و الرخاوه لتتهيأ للاعتماد.

فوائد الماء و السبب فى كثرته

و من تدبير الحكيم جل و علا فى خلقه الأرض أن مهب الشمال أرفع من مهب الجنوب فلم جعل الله عزوجل كذلك الا لتنحدر المياه على وجه الأرض فتسقيها و ترويها، ثم تفيض آخر ذلك الى البحر، فكما يرفع أحد جانبى السطح، و يخفض الآخر لينحدر الماء عنه و لا يقوم عليه كذلك جعل مهب الشمال ارفع من مهب الجنوب لهذه العله بعينها، و لولا ذلك لبقى الماء متحيرا على وجه الأرض، فكان يمنع الناس من اعمالها، و يقطع الطرق و المسالك، ثم الماء لولا كثرته، و تدفقه فى العيون و الأوديه و الأنهار، لضاق عما يحتاج اليه الناس، لشربهم و شرب أنعامهم

[صفحه ۱۲۳] و مواشیهم، و سقی زروعهم و أشجارهم و أصناف غلاتهم، و شرب ما یرده من الوحوش و الطیر و السباع، و تتقلب فیه الحیتان و دواب الماء، و فیه منافع أخر أنت بها عارف و عن عظیم موقعها غافل فانه سوی الأمر الجلیل المعروف من عظیم غنائه فی احیاء جمیع ما علی الأرض من الحیوان و النبات یمزج الأشربه فتلذ و تطیب لشاربها، و به تنظف الأبدان و الأمتعه من الدرن الذی یغشاها، و به یبل التراب فیصلح للأعمال و به یکف عادیه النار اذا اضطرمت، و أشرف الناس علی المکروه، و به یستحم المتعب الکال فیجد الراحه من أوصابه، الی أشباه هذا من المآرب التی تعرف عظم موقعها فی وقت الحاجه الیها، فان شککت فی منفعه هذا الماء الکثیر المتراکم فی البحار، و قلت: ما الأرب فیه؟ فعلم أنه مکتنف و مضطرب ما لا یحصی من أصناف السمک و دواب البحر و معدن اللؤلؤ و الیاقوت و العنبر و أصناف شتی تستخرج من البحر، و فی سواحله منابت العود الیلنجوج و ضروب من الطیب و العقاقیر، ثم هو بعد مرکب للناس، و محمل لهذه التجارات التی تجلب من البلدان البعیده، کمثل ما یجلب من الصین الی العراق، [صفحه ۱۲۴] و من العراق الی الصین فان هذه التجارات، لو لم یکن لها محمل الا علی الظهر لبارت و بقیت فی بلدانها و ایدی اهلها. لأن اجر حملها یجاوز أثمانها، فلا یتعرض احد لحملها و کان یجتمع فی ذلک أمران: أحدهما فقد أشیاء کثیره تعظم الحاجه الیها و الآخر انقطاع معاش من یحملها و یتعیش بفضلها.

فوائد الهواء و السبب فی کثرته

و هکذا الهواء لولا کثرته

و سعته لاختنق هذا الانام من الدخان و البخار الذی یتحیر فیه، و یعجز عما یحول الی السحاب و الضباب أولا أولا، فقد تقدم من صفته ما فیه کفایه.

منافع النار و جعلها کالمخزونه فی الاجسام

و النار أیضا کذلک، فانها لو کانت مبثوثه کالنسیم و الماء کانت تحرق العالم و ما فیه، و لما لم یکن بد من [صفحه ۱۲۵] ظهورها فی الاحایین، لغنائها فی کثیر من المصالح، جعلت کالمخزونه فی الاجسام، فتلتمس عند الحاجه الیها، و تمسک بالماده و الحطب ما احتیج الی بقائها لئلا تخبو فلا هی تمسک بالماده و الحطب، فتعظم المؤونه فی ذلک، و لا هی تظهر مبثوثه، فتحرق کل ما هی فیه، بل هی علی تهیئه و تقدیر، اجتمع فیها الاستمتاع بمنافعها و السلامه من ضررها. ثم فیها خله اخری و هی مما خص بها الانسان دون جمیع الحیوان لما له فیها من المصلحه، فانه لو فقد النار لعظم ما یدخل علیه من الضرر فی معاشه، فاما البهائم فلا تستعمل النار، و لا تستمتع بها، و لما قدر الله عزوجل أن یکون هذا هکذا، خلق للانسان کفا و أصابع مهیئه لقدح النار و استعمالها، و لم یعط البهائم مثل ذلک، لکنها أعینت بالصبر علی الجفاء و الخلل فی المعاش لکیلا ینالها فی فقد النار ما ینال الانسان عند فقدها. و أنبئک من منافع النار علی خلقه صغیره عظیم موقعها، و هی هذا المصباح الذی یتخذه الناس، فیقضون به حوائجهم ما شاؤوا فی لیلهم و لولا هذه الخله لکان الناس [صفحه ۱۲۶] تصرف اعمارهم بمنزله من فی القبور، فمن کان یستطیع أن یکتب أو یحفظ، أو ینسج فی ظلمه اللیل، و کیف کان حال

من عرض له وجع فی وقت من أوقات اللیل، فاحتاج الی أن یعالج ضمادا أو سفوفا أو شیئا یستشفی به... فاما منافعها فی نضج الأطعمه و دفاء الأبدان و تجفیف اشیاء و تحلیل اشیاء و أشباه ذلک، فأکثر من أن تحصی و أظهر من أن تخفی.

الصحو و المطر و تعاقبهما علی العالم و فوائد ذلک

فکر یا مفضل فی الصحو و المطر کیف یتعاقبان علی هذا العالم لما فیه صلاحه، لو دام واحد منهما علیه کان فی ذلک فساده... ألا تری أن الامطار اذا توالت عفنت البقول و الخضر، و استرخت ابدان الحیوان و حصر الهواء فأحدث ضروبا من الأمراض. و فسدت الطرق و المسالک و أن الصحو اذا دام جفت الأرض، و احترق النبات، و غیض ماء العیون و الأودیه، فأضر ذلک بالناس، و غلب الیبس علی الهواء فأحدث ضروبا اخری من الأمراض... فاذا تعاقبا [صفحه ۱۲۷] علی العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء و دفع کل واحد منهما عادیه الآخر، فصلحت الأشیاء و استقامت.. فان قال قائل: و لم لا یکون فی شی ء من ذلک مضره البته؟ قیل له: لیمض ذلک الانسان و یؤلمه بعض الألم، فیرعوی عن المعاصی، فکما أن الانسان اذا سقم بدنه احتاج الی الأدویه المره البشعه لیقوم طباعه، و یصلح ما فسد منه، کذلک اذا طغی و اشتد، احتاج الی ما یمضه و یؤلمه، لیرعوی و یقصر عن مساویه، و یثبته علی ما فیه حظه و رشده... لو أن ملکا من الملوک قسم فی أهل مملکته قناطیرا من ذهب و فضه، ألم یکن سیعظم عندهم و یذهب له به الصوت، فأین هذا من مطره رواء یعم به البلاد، و یزید فی الغلات أکثر من قناطیر الذهب و

الفضه فی أقالیم الأرض کلها.. أفلا تری المطره الواحده ما اکبر قدرها، و اعظم النعمه علی الناس فیها و هم عنها ساهون، و ربما عاقت عن احدهم حاجه لا قدر لها، فیتذمر و یسخط ایثارا للخسیس قدره علی العظیم نفعه، جمیلا محمودا لعاقبته و قله معرفته لعظیم الغناء و المنفعه فیها. [صفحه ۱۲۸]

مصالح نزول المطر علی الأرض و أثر التدبیر فیه

تأمل نزوله علی الأرض و التدبیر فی ذلک، فانه جعل ینحدر علیها من علو لیغشی ما غلظ و ارتفع منها فیرویه، و لو کان انما یأتیها من بعض نواحیها لما علا المواضع المشرفه منها، و یقل ما یزرع فی الأرض.. ألا تری ان الذی یزرع سیحا [۵] أقل من ذلک، فالأمطار هی التی تطبق الأرض، و ربما تزرع هذه البراری الواسعه و سفوح الجبال و ذراها فتغل الغله الکثیره. و بها یسقط عن الناس فی کثیر من البلدان مؤنه سیاق الماء من موضع الی موضع، و ما یجری فی ذلک بینهم من التشاجر و التظالم حتی یستأثر بالماء ذو العز و القوه، و یحرمه الضعفاء، ثم أنه حین قدر أن ینحدر علی الأرض انحدارا جعل ذلک قطرا شبیها بالرش، لیغور فی قعر الأرض فیرویها، و لو کان یسکبه انسکابا کان ینزل علی وجه الأرض فلا یغور فیها، ثم کان یحطم الزروع القائمه اذا اندفق علیها، فصار ینزل نزولا رقیقا، فینبت الحب المزروع. و یحیی الأرض و الزرع القائم. [صفحه ۱۲۹] و فی نزوله أیضا مصالح أخری، فانه یلین الابدان و یجلو کدر الهواء فیرتفع الوباء الحادث من ذلک، و یغسل ما یسقط علی الشجر و الزرع من الدماء المسمی بالیرقان الی أشباه هذا من المنافع، فان قال قائل: أو

ليس قد يكون منه فى بعض السنين الضرر العظيم الكثير، لشده ما يقع منه، أو برد يكون فيه تحطم الغلات، و بخوره يحدثها فى الهواء، فيولد كثيرا من الأمراض فى الابدان و الآفات فى الغلات؟ قيل: بلى قد يكون ذلك الفرط، لما فيه من صلاح الانسان، و كفه عن ركوب العاصى و التمادى فيها: فيكون المنفعه فيما يصلح له من دينه، أرجح مما عسى أن يرزأ فى ماله!.

منافع الجبال

انظر يا مفضل الى هذه الجبال المركومه من الطين و الحجاره، التى يحسبها الغافلون: فضلا لا حاجه اليها. و المنافع فيها كثيره، فمن ذلك أن تسقط عليها الثلوج، فتبقى فى قلالها لمن يحتاج اليه، و يذوب ما ذاب منه، فتجرى منه العيون الغزيره التى تجتمع منها الأنهار العظام، [صفحه ۱۳۰] و ينبت فيها ضروب من النبات و العقاقير التى لا ينبت مثلها فى السهل، و يكون فيها كهوف و معاقل للوحوش من السباع العاديه و يتخذ منها الحصون و القلاع المنيعه للتحرز من الأعداء و ينحت منها الحجاره للبناء و الأرحاء [۶] و يوجد فيها معادن لضرب من الجواهر، و ما فيها خلال أخر لا يعرفها الا المقدر لها فى سابق علمه.

انواع المعادن و استفاده الانسان منها

فكر يا مفضل: فى هذه المعادن و ما يخرج منها من الجواهر المختلفه مثل الجص و الكلس و الجبسين و الزرنيخ و المرتك و التوتيا و الزئبق و النحاس و الرصاص و الفضه و الذهب و الزبرجد و الياقوت و الزمرد و ضروب الحجاره، و كذلك ما يخرج منها من القار و المواميا و الكبريت و النفط و غير ذلك مما يستعمله الناس فى مآربهم فهل يخفى على ذى عقل أن هذه كلها ذخائر ذخرت للانسان فى هذه الأرض، ليستخرجها فيستعملها عند الحاجه اليها، ثم [صفحه ۱۳۱] قصرت حيله الناس عما حاولوا من صنعتها على حرصهم و اجتهادهم فى ذلك فانهم لو ظفروا بما حاولوا من صنعتها على حرصهم و اجتهادهم فى ذلك فانهم لو ظفروا بما حاولوا من هذا العلم كان لا محاله سيظهر، و يستفيض فى العالم، حتى تكثر الفضه و الذهب، و يسقطا عند الناس. فلا تكون

لهما قيمته. و يبطل الانتفاع بهما فى الشراء و البيع و المعاملات، و لا كان يجبى السلطان الأموال و لا يدخرهما أحد للأعقاب، و قد أعطى الناس - مع هذا - صنعه الشبه من النحاس، و الزجاج من الرمل. و الفضه من الرصاص، و الذهب من الفضه، و أشباه ذلك مما لا مضره فيه. فانظر كيف اعطوا ارادتهم فى ما لا ضرر فيه، و منعوا ذلك فيما كان ضارا لهم لو نالوه، و من أوغل فى المعادن انتهى الى واد عظيم يجرى منصلتا بماء غزير، لا يدرك غوره، و لا حيله فى عبوره، و من ورائه أمثال الجبال من الفضه. تفكر الآن فى هذا، من تدبير الخالق الحكيم، فانه أراد جل ثناؤه أن يرى العباد قدرته، وسعه خزائنه، ليعلموا [صفحه ۱۳۲] أنه لو شاء أن يمنحهم كالجبال من الفضه لفعل، لكن لا صلاح لهم فى ذلك، لأنه لو كان فيكون فيها - كما ذكرنا - سقوط هذا الجوهر عند الناس، و قله انتفاعهم به. و اعتبر ذلك بأنه قد يظهر الشى ء الظريف مما يحدثه الناس من الأوانى و الأمتعه، فما دام عزيزا قليلا فهو نفيس جليل آخذ الثمن، فاذا فشا و كثر فى ايدى الناس، سقط عندهم و خست قيمته... و نفاسه الأشياء من عزتها.

النبات و ما فيه من ضروب المآرب

فكر يا مفضل فى هذا النبات و ما فيه من ضروب المآرب، فالثمار للغذاء، و الاتبان للعلف، و الحطب للوقود، و الخشب لكل شى ء من انواع التجاره و غيرها، و اللحاء و الورق و الأصول و العروق و الصموغ لضروب من المنافع. أرأيت لو كنا نجد الثمار التى نغتذى بها مجموعه على وجه الأرض، و لم تكن تنبت

على هذه الأغصان الحامله لها، كم كان يدخل علينا من الخلل فى معاشنا، و ان كان الغذاء موجودا فان المنافع بالخشب و الحطب [صفحه ۱۳۳] و الأتبان و سائر ما عددناه كثيره عظيم قدرها، جليل موقعها، هذا مع ما فى النبات من التلذذ بحسن منظره، و نضارته التى لا يعدلها شى ء من مناظر العالم و ملاهيه.

الريع فى النبات و سببه

فكر يا مفضل فى هذا الريع الذى جعل فى الزرع، فصارت الحبه الواحده تخلف مائه حبه و اكثر و أقل، و كان يجوز للحبه أن تأتى بمثلها فلم صارت تريع هذا ليكون فى الغله متسع، لما يرد فى الأرض من البذر، و ما يتقوت الزراع الى ادراك زرعها المستقبل، ألا ترى أن الملك لو أراد عماره بلد من البلدان كان السبيل فى ذلك أن يعطى أهله ما يبذرونه فى أرضهم و ما يقوتهم الى ادراك زرعهم. فانظر كيف تجد هذا المثال قد تقدم فى تدبير الحكيم، فصار الزرع يريع هذا الريع ليفى بما يحتاج اليه للقوت و الزراعه، و كذلك الشجر و النبت و النخل يريع الريع الكثير، فانك ترى الأصل الواحد حوله من فراخه أمرا عظيما، فلم كان كذلك الا ليكون فيه ما يقطعه الناس، [صفحه ۱۳۴] و يستعملونه فى مآربهم، و ما برد فيغرس فى الأرض، و لو كان الأصل منه يبقى منفردا لا يفرخ و لا يريع لما امكن أن يقطع منه شى ء لعمل و لا لغرس، ثم كان ان اصابته آفه انقطع أصله، فلم يكن منه خلف.

بعض النباتات و كيف تصان

تأمل نبات هذه الحبوب من العدس و الماش و الباقلاء و ما أشبه ذلك فانها تخرج فى أوعيه مثل الخرائط لتصونها و تحجبها من الآفات الى أن تشتد و تستحكم، كما قد تكون المشيمه على الجنين لهذا المعنى بعينه و أما البر و ما أشبهه فانه يخرج مدرجا فى قشور صلاب على رؤوسها أمثال الأسنه من السنبل ليمنع الطير منه ليتوفر على الزراع فان قال قائل: أو ليس قد ينال الطير من البر و الحبوب؟ قيل له: بلى على هذا قدر الأمر

فيها، لأن الطير خلق من خلق الله تعالى و قد جعل الله تبارك و تعالى له فى ما تخرج الأرض حظا ولكن حصنت الحبوب بهذه الحجب لئلا يتمكن الطير منها كل التمكن فيعبث بها و يفسد الفساد الفاحش. فان الطير لو [صفحه ۱۳۵] صادف الحب بارزا ليس عليه شى ء يحول دونه لأكب عليه حتى ينسفه أصلا، فكان يعرض من ذلك أن يبشم الطير فيموت، و يخرج الزراع من زرعه صفرا، فجعلت عليه هذه الوقايات لتصونه، فينال الطائر منه شيئا يسيرا يتقوت به، و يبقى أكثره للانسان، فانه أولى به، اذ كان هو الذى كدح فيه و شقى به، و كان الذى يحتاج اليه أكثر مما يحتاج اليه الطير.

الحكمه فى خلق الشجر و أصناف النبات

تأمل الحكمه فى خلق الشجر و أصناف النبات، فانها لما كانت تحتاج الى الغذاء الدائم كحاجه الحيوان، و لم يكن لها أفواه كأفواه الحيوان و لا حركه تنبعث بها لتناول الغذاء، جعلت اصولها مركوزه فى الأرض لتنزع منه الغذاء فتؤديه الى الأغصان و ما عليها من الورق و الثمر فصارت الأرض كالأم المربيه لها، و صارت أصولها التى هى كالأفواه ملتقمه للأرض لتنزع منها الغذاء، كما ترضع أصناف الحيوان امهاتها، ألم ترى الى عمد الفساطيط [صفحه ۱۳۶] و الخيم كيف تمد بالأطناب من كل جانب لتثبت منتصبه فلا تسقط و لا تميل فهكذا تجد النبات كله له عروق منتشره فى الأرض و الدوح العظام فى الريح العاصف؟. فانظر الى حكمه الخالق كيف سبقت حكمه الصناعه فصارت الحيله التى تستعملها الصناع فى ثبات الفساطيط و الخيم، متقدمه فى خلق الشجر، لأن خلق الشجر قبل صنعه الفساطيط و الخيم... ألا ترى عمدها وعيدانها من الشجر، فالصناعه

مأخوذه من الخلقه.

خلق الورق و وصفه

تأمل يا مفضل خلق الورق فانک ترى فى الورقه شبه العروق مبثوثه فيها أجمع، فمنها غلاظ ممتده فى طولها و عرضها، و منها دقاق تتخلل تلک الغلاظ منسوجه نسجا دقيقا معجما، لو كان مما يصنع بالأيدى كصنعه البشر لما فرغ من ورق شجره واحده فى عام كامل، و لا احتيج الى آلات و حركه و علاج و كلام، فصار يأتى منه فى أيام قلائل من الربيع ما يملأ الجبال و السهل و بقاع الأرض كلها بلا [صفحه ۱۳۷] حركه و لا كلام، الا بالاراده النافذه فى كل شى ء و الأمر المطاع... و اعرف مع ذلک العله فى تلک العروق الدقاق، فانها جعلت تتخلل الورقه بأسرها، لتسقيها و توصل الماء اليها، بمنزله العروق المبثوثه فى البدن، لتوصل الغذاء الى كل جزء منه، و فى الغلاظ منها معنى آخر، فانها تمسک الورقه بصلابتها و متانتها، لئلا تنهتک و تتمزق، فترى الورقه شبيهه بورقه معموله بالصنعه من خرق قد جعلت عيدان ممدوده فى طولها و عرضها لتتماسک فلا تضطرب.. فالصناعه تحكى الخلقه و ان كانت لا تدركها على الحقيقه.

العجم و النوى و العله فى خلقه

فكر فى هذا العجم و النوى و العله فيه، فانه جعل فى جوف الثمره ليقوم مقام الغرس ان عاق دون الغرس عائق، كما يحرز الشى ء النفيس الذى تعظم الحاجه اليه فى مواضع أخر، فان حدث على الذى فى بعض المواضع منه حادث وجد فى موضع آخر، ثم هو بعد يمسک بصلابته رخاوه الثمار و رقتها، و لولا ذلک لتشدخت و تفسخت، و أسرع [صفحه ۱۳۸] اليها الفساد و بعضه يؤكل و يستخرج دهنه، فيستعمل منه ضروب من المصالح، و قد تبين لک موضع الأرب فى العجم

و النوى. فكر الآن فى هذا الذى تجده فوق النواه من الرطبه، و فوق العجم من العنبه، فما العله فيه؟ و لماذا يخرج فى هذه الهيئه؟ و قد كان يمكن أن يكون مكان ذلك ما ليس فيه مأكل كمثل ما يكون فى السدر و الدلب و ما أشبه ذلك. فلم صار يخرج فوقه هذه المطاعم اللذيذه، الا ليستمتع بها الانسان؟

موت الشجر و تجدد حياته و ما فى ذلك من ضروب التدبير

فكر فى ضروب من التدبير فى الشجر، فانك تراه يموت فى كل سنه موته، فتحتبس الحراره الغريزيه فى عوده، و يتولد فيه مواد الثمار ثم يحيى و ينتشر، فيأتيك بهذه الفواكه نوعا بعد نوع، كما تقدم اليك أنواع الأطبخه التى تعالج بالأيدى واحدا بعد واحد، فترى الأغصان فى الشجر [صفحه ۱۳۹] تتلقاك بثمارها حتى كأنها تناولكها عن يد، و ترى الرياحين تتلقاك فى أفنائها كأنها تجئك بأنفسها، فلمن هذا التقدير الا لمقدر حكيم و ما العله فيه الا تفكيه الانسان بهذه الثمار و الأنوار؟... و العجب من أناس جعلوا مكان الشكر على النعمه جحود المنعم بها.

خلق الرمانه و أثر العمد فيه

و اعتبر بخلق الرمانه و ما ترى فيها من اثر العمد و التدبير، فانك ترى فيها كأمثال التلال، من شحم مركوم فى نواحيها، وحب مرصوف صفا كنحو ما ينضد بالأيدى، و ترى الحب مقسوما أقساما، و كل قسم منها ملفوفا بلفائف من حجب منسوجه اعجب النسج و الطفه و قشره يضم ذلك كله. فمن التدبير فى هذه الصنعه أنه لم يكن يجوز أن يكون حشو الرمانه من الحب وحده، و ذلك أن الحب لا يمد بعضه بعضا، فجعل ذلك الشحم خلال الحب ليمده بالغذاء. ألا ترى أن أصول الحب مركوزه فى ذلك الشحم، ثم لف بتلك اللفائف لتضمه و تمسكه فلا يضطرب، و غشى [صفحه ۱۴۰] فوق ذلك بالقشره المستحصفه لتصونه و تحصنه من الآفات، فهذا قليل من كثير من وصف الرمانه، و فيه أكثر من هذا لمن أراد الاطناب و التذرع فى الكلام، ولكن فيما ذكرت لك كفايه فى الدلاله و الاعتبار.

حمل اليقطين و ما فيه من التدبير و الحكمه

فكر يا مفضل فى حمل اليقطين الضعيف مثل هذه الثمار الثقيله من الدباء و القثاء و البطيخ و ما فى ذلك من التدبير و الحكمه، فانه حين قدر أن يحمل مثل هذه الثمار جعل نباته منبسطا على الأرض، و لو كان ينتصب قائما كما ينتصب الزرع و الشجر، لما استطاع أن يحمل مثل هذه الثمار جعل نباته منبسطا على الأرض، و لو كان ينتصب قائما كما ينتصب الزرع و الشجر، لما استطاع أن يحمل مثل هذه الثمار الثقيله، و لتقصف قبل ادراكها و انتهائها الى غاياتها.. فانظر كيف صار يمتد على وجه الأرض ليلقى عليها ثماره فتحملها عنه فترى الأصل من القرع و البطيخ مفترشا للأرض، و ثماره مبثوثه عليها

و حواليه كأنه هره ممتده، و قد [صفحه ۱۴۱] اكتنفتها جراؤها لترضع منها.

موافاه أصناف النبات فى الوقت المشاكل لها

و انظر كيف صارت الأصناف توافى فى الوقت المشاكل لها، من حماره الصيف و وقده الحر فتلقاها النفوس بانشراح و تشوق اليها، و لو كانت توافى الشتاء لوافقت من الناس كراهه لها و اقشعرارا منها مع ما يكون فيها من المضره للأبدان. ألا ترى أنه ربما ادرك شى ء من الخيار فى الشتاء، فيمتنع الناس من أكله الا الشره الذى لا يمتنع من أكل ما يضره و يسقم معدته.

فى النخل و خلقه الجذع و الخشب و فوائد ذلك

فكر يا مفضل فى النخل، فانه لما صار فيه اناث تحتاج الى التلقيح جعلت فيه ذكوره اللقاح من غير غراس، فصار الذكر من النخل بمنزله الذكر من الحيوان الذى يلقح الاناث لتحمل و هو لا يحمل. تأمل خلقه الجذع كيف هو؟ [صفحه ۱۴۲] فانك تراه كالمنسوج نسجا من خيوط ممدوه كالسدى و أخرى معه معترضه كاللحمه كنحو ما ينسج بالأيدى، و ذلك ليشتد و يصلب و لا يتقصف من حمل القنوات الثقيله وهز الرياح العواصف اذا صار نخله و ليتهيأ للسقوف و الجسور و غير ذلك مما يتخذ منه اذا صار جذعا. و كذلك ترى الخشب مثل النسج فانك ترى بعضه مداخلا بعضه بعضا طولا و عرضا كتداخل اجزاء اللحم، و فيه مع ذلك متانه ليصلح لما يتخذ منه من الآلات فانه لو كان مستحصفا كالحجاره لم يكن أن يستعمل فى السقوف و غير ذلك مما يستعمل فيه الخشبه كالأبواب و الأسره و التوابيت و ما أشبه ذلك... و من جسيم المصالح فى الخشب أنه يطفو على الماء، فكل الناس يعرف هذا منه، و ليس كلهم يعرف جلاله الأمر فيه، فلولا هذه الخله كيف كانت هذه السفن و الأظراف تحمل أمثال الجبال من الحموله، و

أنى كـان ينـال الناس هـذا الرفق و خفه المؤنه فى حمل التجارات من بلـد الى بلـد، و كانت تعظم المؤنه عليهم فى حملهم حتى يلقى كثير مما يحتاج اليه فى بعض البلدان مفقودا أصلا أو عسر وجوده. [صفحه ۱۴۳]

العقاقير و اختصاص كل منها

فكر فى هذه العقاقير و ما خص بها كل واحد منها من العمل فى بعض الأدواء، هذا يغور فى المفاصل فيستخرج الفضول الغليظه مثل الشيطرج، و هذا ينزف المره السوداء مثل الافتيمون، و هذا ينفى الرياح مثل السكبينج، و هذا يحلل الأورام، و أشباه هذا من افعالها فمن جعل هـذه القوى فيها الا من خلقها للمنفعه؟ و من فطن الناس لها الا من جعل هذا فيها؟. و متى كان يوقف على هذا منها بالعرض و الاتفاق كما قال القائلون؟ وهب الانسان فطن لهـذه الأشياء بـذهنه و لطيف رويته و تجاربه، فالبهائم كيف فطنت لها حتى صار بعض السباع يتداوى من جراحه ان اصابته ببعض العقاقير فيبرأ، و بعض الطير يحتقن من الحصر يصيبه بماء البحر فيسلم، و اشباه هـذا كثير، و لعلـك تشـكك فى هـذا النبات النابت فى الصحارى و البرارى حيث لا أنس و لا انيس، فتظن أنه فضل لا حاجه اليه، و ليس كذلك، بل هو طعم لهذه الوحوش، و حبه علف للطير، و عوده و أفنانه حطب، فيستعمله الناس، و فيه بعد اشياء تعالج بها الابدان، [صفحه ۱۴۴] و اخرى تدبغ بها الجلود، و اخرى تصبغ الامتعه، و أشباه هذا من المصالح.. ألست تعلم أن من اخس النبات و احقره هذا البردى و ما أشبهها، ففيها مع هذا من ضروب المنافع، فقد يتخذ من البردى القراطيس التى يحتاج اليها الملوك

و السوقه، و الحصر التی یستعملها کل صنف من الناس، و یعمل منه الغلف التی یوقی بها الاوانی، و یجعل حشوا بین الظروف و فی الاسفاط، لکیلا تعیب و تنکسر، و أشباه هذا من المنافع. فاعتبر بما تری من ضروب المآرب فی صغیر الخلق و کبیره و بما له قیمه و ما لا قیمه له، و أخس من هذا و أحقره الزبل، و العذره التی اجتمعت فیها الخساسه و النجاسه معا، و موقعها من الزروع و البقول و الخضر اجمع الموقع الذی لا یعدله شی ء، حتی أن کل شی ء من الخضر لا یصلح و لا یزکو الا بالزبل و السماد الذی یستقذره الناس، و یکرهون الدنو منه. و اعلم أنه لیس منزله الشی ء علی حسب قیمته، بل هما قیمتان مختلفتان بسوقین، و ربما کان الخسیس فی سوق المکتسب نفیسا فی سوق العلم، فلا تستصغر العبره فی [صفحه ۱۴۵] الشی ء لصغر قیمته، فلو فطن طالبو الکیمیاء لما فی العذره، لاشتروها بأنفس الأثمان و غالوا بها. قال المفضل: و حان وقت الزوال، فقام مولای الی الصلاه و قال بکر الی غدا ان شاء الله تعالی. فانصرفت و قد تضاعف سروری بما عرفنیه، مبتهجا بما آتانیه، حامدا لله علی ما منحنیه. فبت لیلتی مسرورا. [صفحه ۱۴۷]

المجلس ۰۴

اشاره

قال المفضل: فلما کان الیوم الرابع بکرت الی مولای فاستؤذن لی، فأمرنی بالجلوس فجلست، فقال علیه السلام: منا التحمید و التسبیح و التعظیم و التقدیس، للاسم الاقدم، و النور الأعظم، العلی العلام، ذی الجلال و الاکرام، و منشی ء الأنام، و مفنی العوالم و الدهور، و صاحب السر المستور، و الغیب المحظور، و الاسم المخزون، و العلم المکنون، و صلواته و

برکاته علی مبلغ وحیه، و مؤدی رسالته، الذی بعثه بشیرا و نذیرا و داعیا الی الله باذنه، و سراجا منیرا، لیهلک من هلک عن بینه، و یحیی من حی عن بینه، فعلیه و علی آله من بارئه الصلوات الطیبات، و التحیات الزاکیات الناميات، و علیه و علیهم السلام و الرحمه و البرکات فی الماضین و الغابرین، أبد الآبدین، [صفحه ۱۴۸] و دهر الداهرین، و هم أهله و مستحقوه.

الموت و الفناء و انتقاد الجهال و جواب ذلک

قد شرحت لک یا مفضل من الأدله علی الخلق، و الشواهد علی صواب التدبیر و العمد فی الانسان و الحیوان و النبات و الشجر و غیر ذلک. ما فیه عبره لمن اعتبر، و أنا أشرح لک الآن الآفات الحادثه فی بعض الأزمان التی اتخذها أناس من الجهال ذریعه الی جحود الخلق و الخالق و العمد و التدبیر، و ما انکرت المعطله و المنانیه من المکاره و المصائب، و ما أنکروه من الموت و الفناء، و ما قاله أصحاب الطبائع، و من زعم أن کون الاشیاء بالعرض و الاتفاق، لیتسع ذلک القول فی الرد علیهم قاتلهم الله أنی یؤفکون.

الآفات و نظر الجهال الیها و الجواب علی ذلک

اتخذ أناس من الجهال هذه الآفات الحادثه فی بعض [صفحه ۱۴۹] الأزمان - کمثل الوباء و الیرقان و البرد و الجراد - ذریعه الی جحود الخالق و التدبیر و الخلق، فیقال فی جواب ذلک: أنه ان لم یکن خالق و مدبر فلم لا یکون ما هو أکثر من هذا و أفظع؟ فمن ذلک أن تسقط السماء علی الأرض، و تهوی الأرض فتذهب سفلا، و تتخلف الشمس عن الطلوع اصلا، و تجف الأنهار و العیون حتی لا یوجد ماء للشفه، و ترکد الریح، حتی تخم الأشیاء و تفسد، و یفیض ماء البحر علی الأرض فیغرقها، ثم هذه الآفات التی ذکرناها من الوباء و الجراد و ما اشبه ذلک ما بالها لا تدوم و تمتد، حتی تجتاح کل ما فی العالم، بل تحدث فی الأحایین، ثم لا تلبث أن ترفع. أفلا تری أن العالم یصان و یحفظ من تلک الأحداث الجلیله التی لو حدث علیه شی ء منها کان فیه بواره ویلذع احیانا بهذه الآفات الیسیره، لتأدیب الناس

و تقويمهم، ثم لا تدوم هذه الآفات، بل تكشف، عنهم عند القنوط منهم، فيكون وقوعها بهم موعظه و كشفها عنهم رحمه. و قد أنكرت المنانيه من المكاره و المصائب التى تصيب الناس فكلاهما يقول: ان كان للعالم خالق رؤوف رحيم، فلم تحدث فيه هذه الأمور المكروهه... و القائل [صفحه ۱۵۰] بهذا القول يذهب الى أنه ينبغى أن يكون عيش الانسان فى هذه الدنيا صافيا من كل كدر، و لو كان هكذا كان الانسان يخرج من الأشر و العتو الى ما لا يصلح فى دين و لا دنيا، كالذى ترى كثيرا من المترفين و من نشأ فى الجده و الامن، يخرجون اليه حتى أن أحدهم ينسى أنه بشر، و أنه مربوب، أو أن ضررا يمسه، أو أن مكروها ينزل به، أو أنه يجب عليه أن يرحم ضعيفا، أو يواسى فقيرا، أو يرثى المبتلى، أو يتحنن على ضعيف، أو يتعطف على مكروب، فاذا عضته المكاره و وجد مضضها، اتعظ و ابصر كثيرا مما كان جهله و غفل عنه، و رجع الى كثير مما كان يجب عليه. و المنكرون لهذه الأمور المؤدبه بمنزله الصبيان الذين يذمون الأدويه المره البشعه، و يتسخطون من المنع من الأطعمه الضاره، و يتكرهون الأدب و العمل، و يحبون أن يتفرغوا للهو و البطاله، و ينالوا كل مطعم و مشرب، و لا يعرفون ما تؤديهم اليه البطاله من سوء النشو و العاده، و ما تعقبهم الأطعمه اللذيذه الضاره من الأدواء و الاسقام، و ما لهم فى الأدب من الصلاح، و فى الأدويه من المنفعه، و ان شاب ذلك بعض الكراهه، فان قالوا: فلم لم يكن الانسان [صفحه ۱۵۱] معصوما من المساوى، حتى

لا يحتاج الى أن تلذعه هذه المكاره، قيل: اذا يكون غير محمود على حسنه يأتيها، و لا مستحقا للثواب عليها. فان قالوا: و ما كان يضره أن لا يكون محمودا على الحسنات مستحقا للثواب، بعد أن يصير الى غايه النعيم و اللذات؟ قيل لهم: اعرضوا على امرى ء صحيح الجسم و العقل، أن يجلس منعما، و يكفى كلما يحتاج اليه بلا سعى و لا استحقاق، فانظروا هل تقبل نفسه ذلك، بل ستجدونه بالقليل مما يناله بالسعى و الحركه اشد اغتباطا و سرورا منه بالكثير مما يناله بغير سعى و لا استحقاق، و كذلك نعيم الآخره أيضا يكمل لأهله بأن ينالوه بالسعى فيه و الاستحقاق له فالنعمه على الانسان فى هذا الباب مضاعفه، فان اعد له الثواب الجزيل على سعيه فى هذه الدنيا و جعل له السبيل الى أن ينال ذلك بسعى و استحقاق، فيكمل له السرور و الاغتباط بما يناله منه... فان قالوا: أوليس قد يكون من الناس من يركن الى ما نال من خير، و ان كان لا يستحقه، فما الحجه فى منع من رضى أن ينال نعيم الآخره على هذه الجمله؟ قيل لهم: أن هذا باب لو صح للناس لخرجوا الى غايه الكلب و الضراوه على [صفحه ۱۵۲] الفواحش، و انتهاك المحارم، فمن كان يكف نفسه عن فاحشه أو يتحمل المشقه فى باب من ابواب البر لوثق بأنه صائر الى النعيم لا محاله، أو من كان يأمن على نفسه و أهله و ماله من الناس لو لم يخاف الحساب و العقاب، فكان ضرر هذا الباب سينال الناس فى هذه الدنيا قبل الآخره. فيكون فى ذلك تعطيل العدل و الحكمه معا، و موضع للطعن

على التدبير بخلاف الصواب و وضع الأمور فى غير مواضعها.

لماذا تصيب الآفات جميع الناس و ما الحجه فى ذلک

و قد يتعلق هؤلاء بالآفات التى تصيب الناس، فتعم البر و الفاجر أو يبتلى بها البر و يسلم الفاجر منها، فقالوا: كيف يجوز هذا فى تدبير الحكيم و ما الحجه فيه؟ فيقال لهم: ان هذه الآفات و ان كانت تنال الصالح و الطالح جميعا. فان الله عزوجل جعل ذلک صلاحا للصنفين كليهما، أما الصالحون فان الذى يصيبهم من هذا يزدهم نعم ربهم عندهم فى سالف أيامهم فيحدوهم ذلک على الشكر و الصبر، و أما الطالحون فأن مثل هذا اذا نالهم كسر شرتهم [صفحه ۱۵۳] وردعهم عن المعاصى و الفواحش، و كذلک يجعل لمن سلم منهم من الصنفين صلاحا فى ذلک، أما الأبرار فانهم يغتبطون بما هم عليه من البر و الصلاح و يزدادون فيه رغبه و بصيره و أما الفجار فانهم يعرفون رأفه ربهم، و تطوله عليهم بالسلامه من غير استحقاق. فيحضهم ذلک على الرأفه بالناس، و الصفح عمن أساء اليهم.. و لعل قائلا يقول: ان هذه الآفات التى تصيب الناس فى أموالهم، فما قولک فيما يبتلون به فى أبدانهم، فيكون فيه تلفهم كمثل الحرق و الغرق و السيل و الخسف؟ فيقال له: أن الله جعل فى هذا أيضا صلاحا للصنفين جميعا، أما الأبرار فلما لهم فى مفارقه هذه الدنيا من الراحه من تكاليفها، و النجاه من مكارهها، و أما الفجار فلما لهم فى ذلک من تمحيص أوزارهم، و حبسهم عن الازدياد منها، و جمله القول أن الخالق تعالى ذكره بحكمته و قدرته قد يصرف هذه الأمور كلها الى الخير و المنفعه، فكما أنه اذا قطعت الريح شجره أو قطعت نخله، أخذها الصانع

الرفيق و استعملها فى ضروب من المنافع، فكذلك يفعل المدبر الحكيم فى الآفات التى تنزل بالناس فى أبدانهم و أموالهم، فيصيرها [صفحه ۱۵۴] جميعا الى الخير و المنفعه.. فان قال: و لم تحدث على الناس؟ قيل له: لكيلا يركنوا الى المعاصى من طول السلامه، فيبالغ الفاجر فى ركوب المعاصى، و يفتر الصالح عن الاجتهاد فى البر فان هذين الأمرين جميعا يغلبان على الناس فى حال الخفض و الدعه و هذه الحوادث التى تحدث عليهم تردعهم و تنبههم على ما فيه رشدهم، فلو خلوا منها لغلوا فى الطغيان و المعصيه، كما غلا الناس فى أول الزمان. حتى وجب عليهم البوار بالطوفان و تطهير الأرض منهم.

الموت و الفناء و انتقاد الجهال و جواب ذلک

و مما ينتقده الجاحدون للعمد و التقدير الموت و الفناء. فانهم يذهبون الى أنه ينبغى أن يكون الناس مخلدين فى هذه الدنيا. مبرئين من هذه الآفات، فينبغى أن يساق هذا الأمر الى غايته، فينظر ما محصوله. أفرأيت لو كان كل من دخل العالم و يدخله يبقون، و لا يموت أحد منهم، ألم تكن الأرض تضيق بهم، حتى تعوزهم المساكن و المزارع و المعائش، فانهم - و الموت [صفحه ۱۵۵] يفنيهم أولا فأولا - يتنافسون فى المساكن و المزارع، حتى تنشب بينهم فى ذلک الحروب، و تسفک فيهم الدماء، فكيف كانت تكون حالهم لو كانوا يولدون و لا يموتون، و كان يغلب عليهم الحرص و الشره، و قساوه القلوب، فلو وثقوا بأنهم لا يموتون لما قنع الواحد منهم بشى ء يناله، و لا افرج لأحد عن شى ء يسأله، و لا سلا عن شى ء مما يحدث عليه، ثم كانوا يملون الحياه و كل شى ء من امور الدنيا كما قد يمل الحياه

من طال عمره، حتى يتمنى الموت و الراحه من الدنيا.... فان قالوا: أنه كان ينبغى أنه يرفع عنهم المكاره و الأوصاب حتى لا يتمنوا الموت و لا يشتاقوا اليه. فقد وصفنا ما كان يخرجهم اليه من العتو و الأشر الحامل لهم على ما فيه فساد الدنيا و الدين. و ان قالوا: انه كان ينبغى أن لا يتوالدوا كيلا تضيق عنهم المساكن و المعائش. قيل لهم: اذا كان يحرم اكثر هذا الخلق دخول العالم و الاستمتاع بنعم الله تعالى و مواهبه فى الدارين جميعا اذا لم يدخل العالم الا قرن واحد، لا يتوالدون و لا يتناسلون... فان قالوا: أنه كان ينبغى أن يخلق فى ذلك القرن الواحد من الناس مثل ما خلق و يخلق الى انقضاء العالم، يقال لهم: رجع الأمر الى [صفحه ۱۵۶] ما ذكرنا من ضيق المساكن و المعائش عنهم، ثم لو كانوا لا يتوالدون و لا يتناسلون لذهب موضع الانس بالقرابات و ذوى الارحام و الانتصار بهم عند الشدائد، و موضع تربيه الاولاد و السرور بهم، ففى هذا دليل على أن كلما تذهب اليه الأوهام - سوى ما جرى به التدبير - خطأ وسفه من الرأى و القول.

الطعن على التدبير من جهه اخرى و الجواب عليه

و لعل طاعنا يطعن على التدبير من جهه اخرى فيقول كيف يكون ها هنا تدبير، و نحن نرى الناس فى هذه الدنيا من عزيز، فالقوى يظلم و يغصب، و الضعيف يظلم و يسالم الخسف، و الصالح فقير مبتلى، و الفاسق معافى موسع عليه، و من ركب فاحشه أو انتهك محرما لم يعاجل بالعقوبه. فلو كان فى العالم تدبير لجرت الأمور على القياس القائم، فكان الصالح هو المرزوق، و الطالح هو المحروم، و كان

القوى يمنع من ظلم الضعيف. و المنتهك للمحارم يعاجل بالعقوبه.. فيقال فى جواب ذلك: أن هذا لو كان هكذا لذهب موضع الاحسان الذى فضل به الانسان [صفحه ۱۵۷] على غيره من الخلق، و حمل النفس على البر و العمل الصالح احتسابا للثواب، وثقه بما وعد الله عنه، و لصار الناس بمنزله الدواب التى تساس بالعصا و العلف، و يلمع لها بكل واحد منهما ساعه فساعه فتستقيم على ذلك، و لم يكن احد يعمل على يقين بثواب أو عقاب، حتى كان هذا يخرجهم عن حد الانسيه الى حد البهائم، ثم لا يعرف ما غاب، و لا يعمل الا على الحاضر من نعيم الدنيا، و كان يحدث من هذا أيضا أن يكون الصالح انما يعمل للرزق و السعه فى هذه الدنيا، و يكون الممتنع من الظلم و الفواحش انما يكف عن ذلك لترقب عقوبه تنزل به من ساعته، حتى يكون أفعال الناس كلها تجرى على الحاضر لا يشوبه شى ء من اليقين بما عندالله، و لا يستحقون ثواب الآخره و النعيم الدائم فيها، مع أن هذه الأمور التى ذكرها الطاعن من الغنى و الفقر و العافيه و البلاء ليست بجاريه على خلاف قياسه، بل قد تجرى على ذلك احيانا و الأمر المفهوم. فقد ترى كثيرا من الصالحين، يرزقون المال لضروب من التدبير وكيلا يسبق الى قلوب الناس أن الكفار هم المرزوقون، و الابرار هم المحرومون، فيؤثرون الفسق على [صفحه ۱۵۸] الصلاح، و ترى كثيرا من الفساق يعاجلون بالعقوبه اذا تفاقم طغيانهم و عظم ضررهم على الناس و على انفسهم كما عوجل فرعون بالغرق و بخت نصر [۷] بالتيه وبلبيس بالقتل و ان أمهل بعض الاشرار بالعقوبه،

و أخر بعض الاخيار بالثواب الى الدار الآخره، لأسباب تخفى على العباد لم يكن هذا مما يبطل التدبير، فان مثل هذا قد يكون من ملوك الأرض و لا يبطل تدبيرهم، بل يكون تأخيرهم ما أخروه، و تعجيلهم ما عجلوه داخلا فى صواب الرأى و التدبير و اذا كانت الشواهد تشهد، و قياسهم يوجب أن للاشياء خالقا حكيما قادرا فما يمنعه أن يدبر خلقه، فانه لا يصلح فى قياسهم أن يكون الصانع يهمل صنعته الا باحدى ثلاث خلال: اما عجز و اما جهل و اما شراره، و كل هذا محال فى صنعته عزوجل، و تعالى ذكره، و ذلك أن العاجز لا يستطيع أن يأتى بهذه الخلائق الجليله العجيبه، و الجاهل لا يهتدى لما فيها من الصواب و الحكمه و الشرير لا يتطاول لخلقها و انشائها، و اذا كان هذا هكذا وجب أن يكون الخالق يدبرها لا محاله، و ان كان لا يدرك كنه ذلك التدبير و مخارجه، فان [صفحه ۱۵۹] كثيرا من تدبير الملوك لا- تفهمه العامه و لا- تعرف أسبابه، لأنها لا- تعرف دخيله أمر الملوك و أسرارهم فاذا عرف سببه وجد قائما على الصواب و الشاهد المحنه. و لو شككت فى بعض الأدويه و الأطعمه فيتبين لك من جهتين أو ثلاث أنه حار أو بارد، ألم تكن ستقضى عليه بذلك و تنفى الشك فيه عن نفسك؟ فما بال هؤلاء الجهله لا يقضون على العالم بالخلق و التدبير مع هذه الشواهد الكثيره و اكثر منها ما لا يحصى كثره و لو كان نصف العالم و ما فيه مشكلا صوابه، لما كان من حزم الرأى و سمت الأدب أن يقضى على العالم بالاهمال لأنه كان

فی النصف الآخر و ما یظهر فیه من الصواب، و اتقان ما یردع الوهم عن التسرع الی هذه القضیه، فکیف و کلما فیه اذا فتش وجد علی غایه الصواب حتی لا یخطر بالبال شی ء الا وجد ما علیه الخلقه أصح و أصوب منه.

اسم هذا العالم بلسان الیونانیه

و اعلم یا مفضل أن اسم هذا العالم بلسان الیونانیه الجاری المعروف عندهم «قوسموس» و تفسیره الزینه، [صفحه ۱۶۰] و کذلک سمته الفلاسفه و من ادعی الحکمه، أفکانوا یسمونه بهذا الأسم الا لما رأوا فیه من التقدیر و النظام فلم یرضوا أن یسموه تقدیرا و نظاما حتی سموه زینه، لیخبروا أنه مع ما هو علیه من الصواب و الاتقان، علی غایه الحسن و البهاء.

عمی (مانی) عن دلائل الحکمه و ادعاؤه علم الاسرار

اعجب یا مفضل من قوم لا یقضون علی صناعه الطب بالخطأ، و هم یرون الطبیب یخطی ء، و یقضون علی العالم بالاهمال، و لا یرون شیئا منه مهملا، بل اعجب من أخلاق من ادعی الحکمه، حتی جهلوا مواضعها فی الخلق، فأرسلوا ألسنتهم بالذم للخالق جل و علا... بل العجب من المخذول (مانی) حین ادعی علم الاسرار و عمی عن دلائل الحکمه فی الخلق حتی نسبه الی الخطأ و نسب خالقه الی الجهل تبارک الحکیم الکریم. [صفحه ۱۶۱]

انتقاد المعطله فیما راموا أن یدرکوا بالحس ما لا یدرک بالعقل

و أعجب منهم جمیعا (المعطله) الذین راموا أن یدرکوا بالحس ما لا یدرک بالعقل، فلما أعوزهم ذلک، خرجوا الی الجحود و التکذیب، فقالوا: و لم لا یدرک بالعقل؟ قیل: لأنه فوق مرتبه العقل، کما لا یدرک البصر ما هو فوق مرتبته... فانک لو رأیت حجرا یرتفع فی الهواء علمت أن رامیا رمی به، فلیس هذا العلم من قبل البصر، بل من قبل العقل، لأن العقل هو الذی یمیزه، فیعلم ان الحجر لا یذهب علوا من تلقاء نفسه... أفلا تری کیف وقف البصر علی حده، فلم یتجاوزه، فکذلک یقف العقل علی حده من معرفه الخالق فلا یعدوه، ولکن یعقله بعقل اقر أن فیه نفسا و لم یعاینها، و لم یدرکها بحاسه من الحواس.

معرفه العقل للخالق معرفه اقرار لا معرفه احاطه

و علی حسب هذا أیضا نقول: أن العقل یعرف الخالق [صفحه ۱۶۲] من جهه توجب علیه الاقرار، و لا یعرفه بما یوجب له الاحاطه بصفته.. فان قالوا فکیف یکلف العبد الضعیف معرفته بالعقل اللطیف، و لا یحیط به؟ قیل لهم انما کلف لعباد من ذلک ما فی طاقتهم أن یبلغوه، و هو أن یوقنوا به ویقفوا عند أمره و نهیه، و لم یکلفوا الاحاطه بصفته، کما أن الملک لا یکلف رعیته أن یعلموا أطویل هو أم قصیر، و أبیض هو أم أسمر، و انما یکلفهم الاذعان لسلطانه، و الانتهاء الی أمره. ألا تری أن رجلا لو أتی باب الملک، فقال: أعرض علی نفسک حتی اتقصی معرفتک، و الا لم أسمع لک کان قد أحل نفسه بالعقوبه.. فکذا القائل أنه لا یقر بالخالق سبحانه، حتی یحیط بکنهه متعرضا لسخطه.. فان قالوا: أولیس قد نصفه؟ فنقول: هو العزیز الحکیم الجواد الکریم؟ قیل لهم

کل هذه صفات اقرار، و لیست صفات احاطه، فانا نعلم أنه حکیم، و لا نعلم بکنه ذلک منه، و کذلک قدیر و جواد و سائر صفاته، کما قد نری السماء فلا ندری ما جوهرها، و نری البحر و لا ندری أین منتهاه، بل فوق هذا المثال بما لا نهایه له، و لأن الأمثال کلها تقصر عنه، ولکنها تقود العقل الی معرفته... فان قالوا: و لم [صفحه ۱۶۳] یختلف فیه؟ قیل لهم: لقصر الأوهام عن مدی عظمته، و تعدیها اقدارها فی طلب معرفته، و انها تروم الاحاطه به، و هی تعجز من ذلک و ما دونه.

الشمس و اختلاف الفلاسفه فی وضعها و شکلها و مقدارها

فمن ذلک هذه الشمس التی تراها تطلع علی العالم و لا یوقف علی حقیقه أمرها.. و لذلک کثرت الأقاویل فیها، و اختلفت الفلاسفه المذکورون فی وصفها، فقال بعضهم: هو فلک أجوف مملوء نارا، له فم یجیش بهذا الوهج و الشعاع.. و قال آخرون: هو سحابه... و قال آخرون: هو جسم زجاجی، یقل ناریه فی العالم، و یرسل علیه شعاعها.. و قال آخرون: هو صفو لطیف ینعقد ماء البحر.. و قال آخرون هو أجزاء کثیره مجتمعه من النار.. و قال آخرون: هو من جوهر خامس سوی الجواهر الأربعه. ثم اختلفوا فی شکلها.. فقال بعضهم: هی بمنزله صفیحه عریضه... و قال آخرون هی کالکره المدحرجه.. و کذلک [صفحه ۱۶۴] اختلفوا فی مقدارها... فزعم بعضهم أنها مثل الأرض سواء... و قال آخرون بل هی أقل من ذلک. و قال آخرون بل هی أعظم من الجزیره العظیمه. و قال أصحاب الهندسه هی أضعاف الأرض مائه و سبعین مره... ففی اختلاف هذه الأقاویل منهم فی الشمس، دلیل علی أنهم لم یقفوا علی

الحقيقه من أمرها، فاذا كانت هذه الشمس التى يقع عليها البصر، و يدركها الحس، قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها، فكيف ما لطف عن الحس و استتر عن الوهم؟.. فان قالوا: و لم استتر؟ قيل لهم: لم يستتر بحيله يخلص اليها، كمن يحجب من الناس بالأبواب و الستور. و انما معنى قولنا استتر أنه لطف عن مدى ما تبلغه الأوهام، كما لطفت النفس. و هى خلق من خلقه. و ارتفعت عن ادراكها بالنظر.. فان قالوا و لم لطف تعالى عن ذلك علوا كبيرا؟ كان ذلك خطأ من القول، لأنه لا يليق بالذى هو خالق كل شى ء الا أن يكون مباينا لكل شى ء، متعاليا عن كل شى ء سبحانه و تعالى. [صفحه ۱۶۵]

الحق الذى تطلب معرفته من الأشياء أربعه أوجه و تفصيل ذلك

فان قالوا: كيف يعقل أن يكون مباينا لكل شى ء متعاليا عن كل شى ء؟ قيل لهم: الحق الذى تطلب معرفته من الأشياء هو أربعه اوجه، فأولها: أن ينظر أموجود هو أم ليس بموجود، و الثانى: أن يعرف ما هو فى ذاته و جوهره؟ و الثالث: أن يعرف كيف هو و ما وصفته؟ و الرابع: أن يعلم لماذا هو ولأى علة؟ فليس من هذه الوجود شى ء يمكن للمخلوق أن يعرفه من الخالق حق معرفته، غير أنه موجود فقط. فاذا قلنا: و كيف و ما هو؟ فممتنع علم كنهه، و كمال المعرفه به. و أما لماذا هو؟ فساقط فى صفه الخالق، لأنه جل ثناؤه عله كل شى ء. و ليس شى ء بعله له، ثم ليس علم الانسان بأنه موجود، يوجب له أن يعلم: ما هو و كيف هو؟ كما أن علمه بوجود النفس لا يوجب أن يعلم: ما هى و كيف هى؟ و كذلك الأمور

الروحانيه اللطيفه... فان قالوا فأنتم الآن تصفون من قصور العلم عنه وصفا، حتى كأنه غير معلوم؟ قيل لهم: هو كذلك من جهه اذا رام العقل معرفه [صفحه ۱۶۶] كنهه و الاحاطه به، و هو من جهه اخرى أقرب من كل قريب اذا استدل عليه بالدلائل الشافيه. فهو من جهه كالواضح لا- يخفى على أحد و هو من جهه كالغامض لا- يدركه احد، و كذلك العقل أيضا ظاهر بشواهده و مستور بذاته.

اصحاب الطبائع و مناقشه أقوالهم

فأما (أصحاب الطبائع) فقالوا: ان الطبيعه لا تفعل شيئا لغير معنى و لا عما فيه تمام الشى ء فى طبيعته، و زعموا أن الحكمه تشهد بذلك، فقيل لهم: فمن اعطى الطبيعه هذه الحكمه، و الوقوف على حدود الأشياء بلا مجاوزه لها، و هذا قد تعجز عنه العقول بعد طول التجارب؟ فان اوجبوا للطبيعه الحكمه و القدره على مثل هذه الأفعال، فقد أقروا بما أنكروا، لأن هذه فى صفات الخالق. و ان انكروا أن يكون هذا للطبيعه، فهذا وجه الخلق يهتف بأن الفعل للخالق الحكيم، و قد كان من القدماء طائفه أنكروا العمد و التدبير فى الأشياء، و زعموا أن كونها بالعرض و الاتفاق و كان مما احتجوا به هذه الآيات التى تكون على غير مجرى العرف و العاده كانسان يولد ناقصا أو زائدا اصبعا، أو يكون [صفحه ۱۶۷] المولود مشوها مبدل الخلق فجعلوا هذا دليلا على أن كون الأشياء ليس بعمد و تقدير بل بالعرض كيف ما أتفق أن يكون؟. و قد كان (ارسطاطاليس) رد عليهم فقال: ان الذى يكون بالعرض و الاتفاق انما هو شى ء يأتى فى الفرط مره لأ-عراض تعرض للطبيعه فتزيلها عن سبيلها، و ليس بمنزله الأمور الطبيعيه الجاريه

على شكل واحد جريا دائما و متتابعا. و أنت يا مفضل ترى أصناف الحيوان أن يجرى أكثر ذلك على مثال و منهاج واحد، كالانسان يولد و له يدان و رجلان و خمس أصابع، كما عليه الجمهور من الناس، فاما ما يولد على خلاف ذلك فانه لعله تكون فى الرحم، أو فى الماده التى ينشأ منها الجنين، كما يعرض فى الصناعات، حين يتعمد الصانع الصواب فى صنعته، فيعوق دون ذلك عائق فى الأداه، أو فى الآله التى يعمل فيها الشى ء، فقد يحدث مثل ذلك فى أولاد الحيوان للأسباب التى وصفاها، فيأتى سويا لا عله فيه، فكما أن الذى يحدث فى بعض اعمال الأعراض لعله فيه لا يوجب عليها جميعا الاهمال و عدم الصانع، كذلك ما يحدث على بعض الأفعال الطبيعيه [صفحه ۱۶۸] لعائق يدخل عليها، لا يوجب أن يكون جميعها بالعرض و الاتفاق، فقول من قال فى الأشياء أن كونها بالعرض و الاتفاق من قبيل أن شيئا منها يأتى على خلاف الطبيعه بعرض يعرض له خطأ و خطل... فان قالوا: و لم صار مثل هذا يحدث فى الأشياء؟ قيل لهم ليعلم أنه ليس كون الأشياء باضطرار من الطبيعه، و لا يمكن أن يكون سواه - كما قال القائلون - بل هو تقدير و عمد من خالق حكيم، اذ جعل الطبيعه تجرى أكثر ذلك على مجرى و منهاج معروف، و تزول أحيانا عن ذلك، لأعراض تعرض لها، فيستدل بذلك على أنها مصرفه مدبره فقيره الى ابداء الخالق و قدرته فى بلوغ غايتها، و اتمام عملها، تبارك الله أحسن الخالقين. يا مفضل خذ ما آتيتك، واحفظ ما منحتك، و كن لربك من الشاكرين، و لآلائه من الحامدين،

و لأوليائه من المطيعين، فقد شرحت لك من الأدله على الخلق، و الشواهد على صواب التدبير و العمد، و قليلا من كثير، و جزءا من كل، فتدبره و فكر فيه و اعتبر به. فقلت: بمعونتك يا مولاى أقر على ذلك، و ابلغه ان شاء الله... فوضع يده على صدرى فقال: احفظ بمشيئه [صفحه ۱۶۹] الله، و لا تنس ان شاء الله، فخررت مغشيا على، فلما أفقت قال: كيف ترى نفسك يا مفضل؟ فقلت: قد استغنيت بمعونه مولاى و تأييده عن الكتاب الذى كتبته و صار ذلك بين يدى كأنما اقرأه من كفى، فلمولاى الحمد و الشكر كما هو أهله و مستحقه. فقال: يا مفضل فرغ قلبك، و اجمع اليك ذهنك و عقلك و طمأنينتك فسألقى اليك من علم ملكوت السماوات و الأرض، و ما خلق الله بينهما و فيهما من عجائب خلقه، و أصناف الملائكه و صفوفهم و مقاماتهم و مراتبهم الى سدره المنتهى، و سائر الخلق من الجن و الانس، الى الأرض السابعه السفلى و ما تحت الثرى، حتى يكون ما وعيته جزءا من اجزاء. انصرف اذا شئت مصاحبا مكلوءا، فأنت منا بالمكان الرفيع، و موضعك من قلوب المؤمنين موضع الماء من الصدى و لا تسألن عما وعدتك حتى احدث لك منه ذكرا. قال المفضل: فانصرفت من عند مولاى بما لم ينصرف احد بمثله.

پاورقی

[۱] يتعاوران: يتداولان.

[۲] اخوت: جاعت.

[۳] الجاسيه: الصلبه.

[۴] يمضها: يوجعها و يؤلمها.

[۵] سيحا: زراعه اسيح هى الزراعه التى تحصل عن طريق الانهر و المياه الجاريه.

[۶] الارحاء: جمع رحى و هى الطاحون.

[۷] أبو نبوخذ نصر كان أعظم ملوك الكلدانيين، و قد عرف بالشده و البطش.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ۱۴۲۶ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹